
روايات مصرية للجيب
٤٧
إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
مدينة الأشرار
WWW.DVD4ARAB.COM
RASHID

١ ــ احتفال الشياطين ..

تقع دولة (دوناى) فى جنوب شرق (آسيا) ، وهى دولة صغيرة المساحة والتعداد ، حصلت على استقلالها حديثًا ، بعد نصف قرن من الخضوع للاستعمار البريطانى ، ولا يزيد تعدادها على المليون نسمة ، انعقدت بينهم وبين (مصر) وحكومتها روابط وطيدة ، بعد الاستقلال ، حيث عُقدت عدة اتفاقيات ومعاهدات بين الدولتين ، أرسلت (مصر) إثرها عددًا من الخبراء والفنيين فى عدة مجالات ، لتقديم المساعدة الفنية والعلمية لشعب (دوناى)(*) ..

وكانت أهم بعثات التعاون المشترك هى بعثة الأمن ، حيث أرسلت (مصر) مجموعة من الضباط المتخصصين ، ذوى الخبرات الأمنية العالية ، للمساعدة فى إنشاء جهاز أمنىّ قوىّ متقدّم فى (دوناى) ، كان منهم العميد (صلاح فوزى) ، الذى يشرف ، مع مجموعة من زملائه ، على تدريب عدد من ضباط (دوناى) ، على نظم العمل فى جهاز أمنىّ ، يعرف فى (دوناى) باسم (إدارة الأمن الوطنى) ..

(*) كل الشخصيات والأحداث والدول ، من وحى خيال المؤلف ، ولا صلة لها بالحقيقة .

وفى ذلك اليوم ، كان العميد (صلاح) يتابع نشاط زملائه ، ومستوى التدريب ، وهو يتنقل من إدارة إلى أخرى ، حتى بلغ إدارة المعلومات ، وتوقَّف أمام أحد زملائه من الضباط المصريِّين ، الذى انهمك فى شرح الأسلوب الأمثل لجمع المعلومات وحفظها ، لأحد ضباط (دوناى) ، فأضاف من عنده ، موجِّهًا حديثه لضابط (دوناى) :

ــ عليك أيضًا ألا تهمل المعلومات الصغيرة ، مهما بدت ضآلتها ، فهناك قضايا كبيرة ، يبدأ حلها بمعلومة صغيرة ، فدوِّن إذن كل ما يصلك من معلومات ، فربما يؤدِّى جمع المعلومات الصغيرة ، إلى كشف قضية كبيرة .

وصل فى تلك اللحظة أحد كبار ضباط (دوناى) ، وصافح العميد (صلاح) ، قائلًا :

ــ الواقع أنك وضباطك تبذلون جهدًا غير عادى لمساعدتنا يا سيادة العميد .

ابتسم العميد (صلاح) ، قائلًا :

ــ نرجو أن نحقِّق إفادة كاملة لكم ، خلال الفترة التى سنقضيها فى دولتكم .

ابتسم الضابط الكبير ، الذى لم يكن سوى رئيس إدارة الأمن الوطنى ، وهو يقول :

ــ إننا نفيد حقًّا بخبراتكم ، ونرى أن التعاون بيننا مثمر للغاية ، فأنتم أصدقاء حقيقيون ، وعلى مستوى من الكفاءة لا يقلّ عن ضباط العالم المتقدِّم .

العميد (صلاح) :

ــ أشكر لك هذا التقدير يا جنرال .

رئيس إدارة الأمن :

ــ ولكننى أريد التحدُّث معك فى أمر آخر .

العميد (صلاح) :

ــ أنا رهن إشارتك .

رئيس إدارة الأمن :

ــ الأفضل أن يتم ذلك فى مكتبى ، فهلَّا تكرَّمت بمصاحبتى إلى حجرتى ؟

سارا معًا إلى حجرته ، وأسرع جندى الحراسة الخاص يفتح بابها ، فتقدَّم رئيس إدارة الأمن ، ليجلس خلف مكتبه ، فى حين جلس العميد (صلاح) على المقعد المواجه له ، وبدأ الجنرال الحديث على نحو مباشر ، قائلًا :

ــ نحن ندرك قيمة الخدمات التى تؤدُّونها لنا هنا يا سيادة العميد ، ونشكر لكم مساعداتكم الفنيَّة ، التى أفاد منها رجالى

أيما إفادة ، ولكننا نأمل فى مساعدة أكبر ، تتجاوز التدريبات والنظريّات ، فنحن كما تعلم دولة حديثة الاستقلال ، كان المستعمرون يتولّون كافة شئوننا حتى عهد قريب ، والمستعمر لا يهتمّ عادة بأمن البلاد ، بقدر ما يهتمّ بتأمين قواته ، وترسيخ سيطرته ؛ لذا فقد شجّع المحتلّون ، على نحو مباشر أو غير مباشر ، على استفحال النشاط الإجرامى فى (دوناى) ، فى محاولة لإضعاف مجتمعنا الداخلى ، وإلهائه عن نداء الحرية ، بالمخدّرات والقمار والتهريب ، والجرائم الأخرى .. ولقد ترك لنا المستعمر خلفه موجة عاتية من الإجرام ، وعشرات من رجال العصابات ، الذين يعيثون فى البلاد فسادًا ، وفى العاصمة على وجه الخصوص ، حيث استفحل نشاطهم ، وتعاظمت قوتهم على نحو ملحوظ .. ونحن نرغب الآن فى مواجهة تطهير حاسمة ، ضد هؤلاء الأشرار ، ولكن المشكلة بالنسبة لنا هى قلّة الخبْرة والتدريب العملى ، إزاء عصابات تملك النفوذ والسلاح ، والمصالح المتعدّدة ، التى تستحق الدفاع عنها فى شراسة .. ولقد فكّرنا جديًا فى استخدام الجيش لتلك المواجهة ، ولكن الرئيس يرفض تمامًا إقحام الجيش فى معارك داخلية ، ويؤكّد ضرورة تفرّغه لحماية البلاد ، بعد استقلالها ؛

ولهذا اتجه تفكيرنا إليكم ، وطلب منّى وزير الداخلية أن أناقش معك فكرة امتداد برنامج مساعداتكم لنا ، إلى مدّنا بمجموعة من الضباط المدرّبين ، وقوات الأمن المصرية ، المدرّبة للقيام بمثل هذا النوع من العمليات ، فى مواجهة العصابات المحترفة ، فهل لدى دولتكم الاستعداد ، لتقديم مثل هذه المساعدة ؟!

أجابه العميد (صلاح) :

ـ الأمر يخرج عن نطاق اختصاصى وسلطاتى فى الواقع ، ولكننى أعدك بالاتصال بوزير الداخلية المصرى ، وعرض هذا المطلب عليه ، وفى حدود معلوماتى ، فإن حكومتى تتحاشى دومًا الزجّ بقواتها فى معارك خارج حدودها ، وتعتبر أن قضايا الأمن الداخلى هى مسئولية كل دولة بلا تدخّل .

رئيس إدارة الأمن :

ـ هذا صحيح ، ولكن تنقصنا القوات والتدريبات ، كما سبق أن أخبرتك .

العميد (صلاح) :

ـ سأعرض الأمر على المسئولين فى (مصر) ، ولكننى لا أعد بأيّة نتائج .. مطلقًا .

* * *

أوى الضباط المصريون إلى أسرَّتهم ، فى المبنى المخصص لهم ، فى (إدارة الأمن الوطنى) ، وبقى ثلاثة منهم لمواصلة تدريب ضباط (دوناى) ، حتى ساعة متأخرة من الليل ، فى حين استقلَّ العميد (صلاح) سيارته ، واتجه إلى المنزل المخصص له ، على بعد عشرة كيلومترات من مبنى الإدارة ..

وفى الثانية صباحًا ، حلَّقت هليوكوبتر على ارتفاع منخفض ، فوق سطح المبنى ، وأثار تحليقها المنخفض جندىّ الحراسة ، فوجَّه كشّافه الضوئى نحوها ، قائلًا لزميله :

ـ هذه الهليوكوبتر تقترب أكثر مما ينبغى .

وبدلًا من أن يجيبه زميله ، انقضَّ عليه بغتة ، وعاجله بطعنة من خنجره فى قلبه ، ثم ألقى به فى أرضية برج المراقبة ، وأسرع يُبعد الضوء عن الهليوكوبتر ، التى لم تلبث أن حطَّت فوق سطح المبنى ، واندفع من داخلها ثمانية رجال مسلحين ، ارتدوا ثيابًا وأقنعة سوداء ، وثبتوا أطراف حبالهم فى سطح المبنى ، وراحوا ينزلقون عليها إلى أسفل ، حيث أسرع ستة منهم داخل المبنى ، وانطلق الباقيان نحو البوَّابة الخارجية ، على نحو يؤكِّد أنهم يسيرون وفق خطَّة مرسومة ..

وفى تلك اللحظة ، انتبه أحد حراس المبنى إلى اقتراب ناقلة

ضخمة من المبنى ، فأسرع يتَّصل بزميله عند البوَّابة ، ويطالبه بإيقافها .. ولم يُضِع هذا الأخير وقتًا ، فاعترض طريق السيارة ، ولوَّح لها آمرًا سائقها بالتوقُّف ، وخُيِّل إليه ـ من انخفاض سرعتها ـ أنها ستتوقَّف بالفعل ، إلَّا أنها لم تلبث أن زادت من سرعتها بغتة ، وأطاحت به ، فى طريقها إلى البوَّابة ، مما دفع حارس البرج إلى القفز نحو مدفعه ، يمطرها بالرصاصات ، إلَّا أن قاتل الحارس الآخر سلط ضوء الكشاف على وجهه ، ثم أطلق عليه سهمًا ، من بندقية سهام خاصة ، أصابه فى قلبه ، فأطلق شهقة مكتومة ، وهوَى جثة هامدة ..

وفى نفس اللحظة كان المقنَّعان ، اللذان اتجها إلى البوَّابة ، قد تولَّيا أمر حارسها الثانى ، وفتحا البوَّابة بواسطة جهاز فتحها الإليكترونى الخاص ، فانطلقت الناقلة إلى داخل المبنى ، واندفع باقى الحراس نحوها ، وقد جذبهم صوت محرِّكها ، إلَّا أن عشرات المقنَّعين اندفعوا من صندوقها الخلفى ، فى ملابس سوداء شبيهة بملابس رجال الهليوكوبتر ، وأمطروا الحرَّاس بوابل من النيران ، هبَّ له كل النائمين فى المبنى ، واندفع له الضباط المصريون الثلاثة ، مع من يدرِّبونهم من ضباط (دوناى) ولكنهم بُوغتوا بالمقنَّعين الستة يقتحمون ردهة التدريبات ،

ويصبُّون عليهم نيران مدافعهم ، ليردُّوهم صرعى على الفور ، فى حين انتشر باقى المقنَّعين داخل المبنى ، وراحُوا يطلقون النار على كل مايتحرَّك فيه .

وأدرك الضباط المصريون الموقف ، واندفعوا نحو أسلحتهم ، ولكن كان الأوان قد فات ، فقد حاصرهم المقنَّعون ، وراحت رصاصاتهم تحصدهم فى وحشية ، وبلا رحمة ..

وانتهت العملية القذرة فى سرعة ، وأسرع المقنَّعون يغادرون المكان ، وبصحبتهم الحارس الخائن ، بعد أن تحوَّلت (إدارة الأمن الوطنى) إلى بركة ..

بِركة دماء ..

* * *

كان هناك حفل صاخب ، فى واحدة من الڤيلات الأنيقة ، على الرَّبْوة الخضراء العالية ، فى قلب (دوناى) ، وكان هناك عشرات من الرجال والفتيات داخل الڤيلا ، حول مائدة كبيرة ، اصطفَّت فوقها مختلف أنواع الطعام والشراب الفاخرة ، والكل منشغل باللهو والمرح ، فيما عدا عددًا من الرجال ، جمعتهم مائدة طعام خاصَّة ، وعلى رأسهم رجل متوسط القامة ، غزير الشعر ، أشعثه ، ترك شاربه الكثَّ يتدلَّى

حول شفتيه بلا عناية ، مما جعله يبدو أشبه بواحد من التتار القدامى ، وقد راح يلوِّح بيديه حوله فى انفعال . وآخر أكبر سنًّا ، وأكثر طولًا ورصانة ، يختلف عن رفيقه فى شعره القصير ، المصفَّف فى عناية ، وجبينه المقطَّب فى تفكير عميق ، وهو يمرِّر راحته فوق جبينه ، من آن إلى آخر ، حتى التفت إليه الغزير الشعر ، وهتف فى انفعال ، بعد أن أفرغ نصف زجاجة شراب فى معدته :

ـ ماذا بك يا (هيرام) ؟.. لقد نجحت عمليتنا ، وسدَّدنا إليهم ضربة قاصمة ، هم وأولئك الخبراء الذين استقدموهم من (مصر) .. الآن سيعلم الجميع من يحكم هذه المدينة .. ألا يسعدك هذا ؟

أجابه (هيرام) فى صوت هادئ ، وهو يمرِّر يده فوق جبينه :

ـ إنها ليست عمليتنا .. إنها عمليتك أنت .. وأنت تعلم أننى كنت أرفضها .

أبدى الآخر دهشته ، وهو يرفع يده عاليًا ، قائلًا :

ـ وهل كنت ستنتظر حتى تصبح (إدارة الأمن الوطنى) هذه إدارة قوية ، ذات فريق مدرَّب ، ليستأصلونا من المدينة فى يُسر ؟!.. لا يا رجل .. كان علينا أن نقلِّم أظفارهم ، قبل أن تتحوَّل إلى مخالب تمزِّق مصالحنا هنا .

هيرام :

ـــ أتظنّهم سيتوقفون عن متابعة خُطَّة القضاء علينا ، بعد عمليتك الحمقاء هذه ؟

هتف الآخر :

ـــ لا ، ولكنهم سيحتاجون إلى وقت طويل على الأقل ليحصلوا على خبراء آخرين ، ومجموعة أمن مدرّبة .

هيرام :

ـــ أو يشعرون أننا قد بتنا نمثّل تحدّيًا عنيفًا لسلطة الدولة ، فيدفعهم هذا إلى المزيد من الإصرار على التخلّص منّا يا (سعدان) .

ضرب (سعدان) المائدة بقبضته فى عنف ، وهو يهتف :

ـــ ولكننا ما زلنا الأقوى .. لدينا المال والنفوذ والسلاح ، وأكثر من مائتى رجل عصابات محترف .

أجابه (هيرام) ، وهو لا يخفى نظرته القلقة :

ـــ لا تنس أن لديهم الجيش كله .

ارتسمت على شفتى (سعدان) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـــ اطمئن .. لن يزجُّوا بجيشهم فى أمر كهذا ، فهم يخشون على أمن البلاد ، حتى أنهم سيفكرون ألف مرة ، قبل أن يلجئوا إلى هذا .

غمغم (هيرام) فى قلق :

ـــ ولكنهم سيفعلونها بعد هذه المرَّة الألف .

أطلق (سعدان) ضحكة ماجنة كبيرة ، قبل أن يضرب على ظهره ، هاتفًا :

ـــ فلنلهُ ونمرح إذن ، حتى يأتى ذلك اليوم ، فلقد لقَّنَّا الجنرال (قويم) وهؤلاء المصريين درسًا لن يمحوه الزمن .. لقد انتصرنا يا رجل .. انتصرنا .





٢ ــ رجل لايعرف المستحيل ..

تصبّب العرق غزيرًا ، على جسد (ممدوح) وجبهته ، وهو يضرب الكرة بمضربه ، فى إحدى مباريات التنس القوية ، مع زميل له ، وطارت الكرة خارج حدود الملعب ، فهمّ باستبدالها بغيرها ، إلّا أنه لم يلبث أن فقد تركيزه على المباراة فى سرعة ، عندما لمح صديقه (رفعت) يقترب من الملعب ، ووجهه يحمل تجهُّمًا شديدًا ، فتخلّى عن اللّعب ، واتجه إليه يسأله فى قلق :

ــ لِمَ هذا التجهُّم ؟.. ماذا حدث ؟

أجابه (رفعت) فى أسى :

ــ لقد لَقِىَ عدد من زملائنا مصرعهم فى (دوناى) ، إثر هجوم مسلّح لحجرات نومهم ومركز التدريب أمس .

هتف (ممدوح) غير مصدِّق :

ــ ماذا تقول ؟!.. (رءوف) ، و (كامل) ، و (مدكور) ؟!.. هل .....؟

قاطعه (رفعت) :

ــ كلهم يا (ممدوح) .. كلهم لَقُوا حتفهم ، فيما عدا العميد (صلاح) ، الذى كان يقيم فى منزل خارج (إدارة الأمن الوطنى) ، فى (دوناى) .

لمح صديقه (رفعت) يقترب من الملعب ، ووجهه يحمل تجهمًا شديدًا .
فتخلّى عن اللعب ، واتجه إليه .

راح (ممدوح) يردِّد فى ذهول :

ــ كلهم ؟!.. لماذا ؟.. لماذا ؟!!..

ربَّت (رفعت) على كتفه ، قائلًا :

ــ ستعرف كل التفاصيل من اللواء (مراد) .. إنه ينتظرك فى مكتبه .. ويبدو أنك ستثأر لهم .. ولنا جميعًا ..

★ ★ ★

كان اللواء (مراد) حزينًا مهمومًا ، يجلس خلف مكتبه صامتًا ، عندما دلف (ممدوح) إلى حجرته ، وكان شاردًا حتى أنه لم يتجاوب مع (ممدوح) ، وهذا الأخير يعزِّيه فى وفاة الرجال ، حتى تعالى رنين الهاتف ، فأشاح اللواء (مراد) بوجهه جانبًا ، وكأنما يرفض التحدُّث إلى أحد ، مما حدا بـ (ممدوح) إلى أن يتناول سمَّاعة الهاتف ؛ ليرد على المتحدِّث بنفسه ، ويستمع إليه لحظات فى صمت ، قبل أن يقول فى احترام :

ــ نعم يا سيِّدى .

ثم ناول السمَّاعة إلى اللواء (مراد) ، مستطردًا :

ــ سيادة الوزير يطلب التحدُّث إليك يا سيِّدى .

تطلَّع اللواء (مراد) إلى (ممدوح) برهة فى شرود ، وكأنه يراه لأوَّل مرة ، ثم مدَّ يده فى تثاقل ، يتناول سمَّاعة الهاتف ،

ودار بينه وبين الوزير حديث قصير ، امتلأت على أثره ملامح اللواء (مراد) بالنشاط ، وإن لم يفارقه حزنه ، حتى انتهى من محادثته ، فأعاد السمَّاعة إلى موضعها ، وهو يلتفت إلى (ممدوح) ، ويسأله فى حزم :

ــ هل بلغك ما أصاب الضباط المصريين فى (دوناى) ؟

ممدوح :

ــ نعم يا سيِّدى ، ولكن دون التفاصيل .

اللواء (مراد) :

ــ قبل أن تستمع إلى التفاصيل ، هل أنت مستعد للثأر ؟

ممدوح :

ــ وبلا تردُّد يا سيِّدى .

اللواء (مراد) :

ــ حسنًا .. من حقِّك إذن أن تعلم كل شىء .

وراح يَرْوِى له كل شىء ، منذ طلبت (دوناى) تعاون (مصر) ؛ لإنشاء جهاز أمنى فيها ، وحتى تم اغتيال الضباط ، ثم أضاف :

ــ وعلى الرغم من أن رغبتى الشخصية تتفق مع مطلب وزير داخلية (دوناى) ، فى أن نثأر نحن لرجالنا ، إلا أنه يبدو

أن سياسة دولتنا تتعارض مع إرسال قوات مصرية خارج الحدود ؛ لذا فقد طرحت اسمك على وزير الداخلية ، كبديل لإرسال قوات أمن كاملة ، وأخبرته أنك وحدك قمت بتصفية عدة بؤرات للفساد والشر فى العالم ، فى مهمّاتك السابقة ، ولقد أبدى دهشته الشديدة فى البداية ، واستنكر أن يستطيع رجل واحد أداء مهمّة فريق كامل ، إلا أنه — وعلى الرغم من ذلك — طلب ملفك كله من الإدارة ، وراجعه بنفسه ، ثم اتصل بى الآن ، وأعلن موافقته على اقتراحى ، مؤكّدًا كونك البديل الوحيد للمهمة ، بعد أن استقرّ الرأى على عدم إرسال قوات نظامية إلى (دوناى) ، ونحن نطالبك ببذل أقصى جهدك ، لتوقيع العقاب على المجرمين ، الذين قتلوا رجالنا ؛ لنثأر للرجال ، ونساند دولة صديقة مثل (دوناى) ، دون أن نرسل قوات نظامية ، أو نسمح للمجرمين بتحطيم برنامج التعاون بين الدولتين . ونحن فى الوقت ذاته نستعد لإرسال بعثة جديدة من خبراء ورجال الأمن إلى (دوناى) ؛ لتنفيذ واستكمال برنامج التدريب ، الذى تم وضعه مسبقًا ، ونريد توفير حماية تامة لرجالنا الجُدد هناك .

ممدوح :

— أهناك أيّة تفصيلات ، بشأن العصابات المسيطرة على العاصمة هناك ؟

اللواء (مراد) :

— كل التفاصيل سيطلعك عليها الجنرال (قويم) ، رئيس جهاز الأمن الوطنى فى (دوناى) ، ولكن ينبغى أن تعلم أن مهمّتك جسيمة بالغة الخطورة ، وأنه لا ينبغى أبدًا أن تدفع خلف الرغبة فى الثأر ، والانفعال الشخصى العاطفى ، حتى لا يدفعهم هذا إلى فشل سريع ، وهلاك محقق ، قبل أن تبلغ هدفك .

ممدوح :

— اطمئن يا سيادة اللواء ، سأترك عواطفى فى الطائرة ، التى ستقلّنى إلى (دوناى) ، وسأعتبرها مهمّة وطنية فقط .

لم ينجح اللواء (مراد) فى إخفاء القلق من ملامحه ، وهو يقول :

— هناك شىء ينبغى أن تعلمه ، دون أن يُثبط من عزيمتك ، فأنا نفسى غير واثق من نجاح المهمّة ، ولست أدرى كيف ستنجح فى مواجهة عصابات ضخمة ، عجزت حكومة (دوناى) نفسها عن مواجهتها ، ولكننى وضعت اسمك أمام وزير الداخلية فى فورة حماس وانفعال .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (ممدوح) ، وهو يقول :

ــ أيعنى هذا أنك قد فقدت ثقتك فىَّ يا سيادة اللواء ؟

اللواء (مراد) :

ــ لا ، ولكننى أسعى لأكون منطقيًا .

ممدوح :

ــ ومنذ متى يحكمنا المنطق ؟ لقد أنشئت هذه الإدارة ليعمل بها رجال يتحدَّوْن المنطق ، ويحاربون المستحيل ، ثم إننى لن أحارب هؤلاء الأوغاد بمفردى .

سأله اللواء (مراد) فى حَيْرة :

ــ ماذا تَعْنِى ؟

أجابه فى ثقة :

ــ هناك فى كل ركن من أركان العالَم رجال يقدِّسون الواجب والشرف ، ويتّسمون بالبطولة والتضحية ، وسأبحث عن هؤلاء هناك ، فى (دوناى) ، وسنتحد جميعًا فى مواجهة الشرّ .. اطمئن يا سيِّدى .. سأنجح فى مهمَّتى هذه ، بإذن الله .

أضاءت فى عينى اللواء (مراد) نظرة إعجاب وتقدير ، وهو يردِّد فى حزم :

ــ بإذن الله .

* * *

٣ ــ التحالف مع الشيطان ..

صافح العميد (صلاح) (ممدوح) ، فى (غيدان) ، عاصمة (دوناى) ، ثم قدَّمه إلى الجنرال (قويم) ، الذى صافحه بدوره فى حرارة ، قائلًا :

ــ مرحبًا بك فى (إدارة الأمن الوطنى) بـ (دوناى) أيها المقدَّم .. قِيلَ لى إنك رجل معجزات .

قال (ممدوح) فى تواضع :

ــ لا معجزات فى أداء الواجب يا سيِّدى الجنرال .

دعاه الجنرال (قويم) إلى الجلوس ، وهو يقول :

ــ أتعتقد أنك ستنجح فى أداء مهمَّتك هنا ؟!

ممدوح :

ــ سأبذل قُصارى جهدى لأفعل يا سيِّدى .

بدا الشكّ واضحًا فى وجه الجنرال (قويم) ، وهو يقول :

ــ أرى أنه لا تنقصك الشجاعة ولا ينقصك الإصرار ، ولكنهما صفتان لا تكفيان وحدهما لمواجهة عصابات مسلَّحة ، ومدرَّبة على الفتك بأعدائها بلا رحمة .

سأله (ممدوح) على نحو مباشر :

ــ أريد أن أعرف من هم أعدائى بالضبط ؟

الجنرال (قويم) :

ــ فى الماضى كانت هناك عصابات صغيرة ، وكان هناك عشرات من المجرمين المنفردين بعملهم ، ولكن مصالح المستعمرين ، التى اقتضت التعامل مع أمثال هؤلاء الخارجين عن القانون ، لم تلبث أن أثمرت فى ازدياد ونموّ نفوذ بعضهم ، بحيث تعاظمت قوتهم ، ومن أبرز هؤلاء ، وعلى رأسهم ، (هيرام) و(سعدان) ، فقد ضمّ كل منهما إليه العشرات من المجرمين والعصابات الصغيرة ، وراحوا يتجهون إلى الأعمال الإجرامية الكبرى ، كالاتجار فى المخدرات ، والسلاح ، وإنشاء نوادى القمار السرّية ، وتحقق لهما من كل هذا نفوذ هائل ، وجنيا ثروات هائلة ، ومكاسب فادحة ، مما مكّنهم من رشوة عشرات المسئولين ، واقتناء مختلف الأسلحة ، من المسدسات وحتى الهليوكوبتر ، مما دفعهم إلى تحدّى السلطات نفسها ..

ولقد كان هناك صراع عنيف فى البداية ، بين عصابتى (هيرام) و(سعدان) ، سقط خلاله العشرات من القتلى على الجانبين ، إلا أنهما لم يلبثا أن اتحدا ، أو تهادنا ، عندما تبيّن لهما أنّ حكومة (دوناى) فى سبيلها لمواجهتهما ، مما وضعنا فى مشكلة كبرى ، إذ إننا كنا نبنى كل خططنا على استغلال

الصراع بين العصابتين لصالحنا ، أما الآن فمن العسير أن نواجه تلك المنظمة الهائلة ، التى نشأت باتحادهما ، وبجيشهما المكوّن من مائتين وخمسين قاتلًا محترفًا ، على أتم استعداد للقتل والتدمير ، بإشارة واحدة من زعيمهم ، ثم إنه لدينا مشكلة أخرى ، وهى أننا نفتقر إلى أدلّة دامغة تدين (هيرام) و(سعدان) ، بحيث يمكن تقديمهما إلى المحاكمة ، فهما يخطّطان للعمل فحسب ، ولا يشاركان بالتنفيذ قطّ ، ورجالهما لا يعترفون بأيّة نقطة ضدهما مطلقًا ، وهما بالتالى يساعدونهم على الإفلات من العقاب ، إما عن طريق الرشوة واستغلال النفوذ ، أو عن طريق القوة المسلحة الإجرامية .

ممدوح :

ــ حسنًا .. أين يمكن العثور على أتباعهما ؟

تدخل العميد (صلاح) ، قائلًا :

ــ لقد أسهمت فى إعداد قائمة بالأماكن التى يتردّد عليها أولئك المجرمون غالبًا .

ممدوح :

ــ أيمكننى الإطلاع عليها ؟

العميد (صلاح) :

ــ بالطبع .

ممدوح :

ــ وأين سأقيم ؟

الجنرال (قويم) :

ــ فى المبنى الإدارى التابع لنا ، إن لم يُثِر فيك هذا ذكريات مؤلمة ، لما أصاب رفاقك .

ممدوح :

ــ إننى لا أفضّل الإقامة فيه بالفعل ، ولكن ليس لهذا السبب ، وإنما لأننى أنشد مكانًا يصعب عليهم نيلى فيه ، فخطتى تعتمد على أن أغريهم بالتعرُّض لى دومًا ، فكلما قطعت الأذناب ، يقصر طريقك إلى الرءوس الكبيرة .

الجنرال (قويم) :

ــ حسنًا .. هناك منزل صغير ، إلى جوار منزل العميد (صلاح) ، يمكنك أن تقيم فيه ، وسأرسل أحد الضباط معك إليه .

قال العميد (صلاح) ، موجِّهًا حديثه إلى الجنرال (قويم) :

ــ أتسمح بأن أصطحبه بنفسى إلى هناك ؟

الجنرال (قويم) :

ــ بالطبع يا سيادة العميد ، وغدًا نتفق على التفاصيل أيها المقدَّم (ممدوح) .

ممدوح :

ــ بل الأفضل أن أبدأ العمل الليلة ، وسأحصل على قسط من الراحة ، ثم أذهب إلى أحد الأماكن الواردة فى قائمة العميد (صلاح) .

الجنرال (قويم) :

ــ سيصحبك أحد رجالنا ، وهو الجاويش (حيدر) ، وهو من أشجع الرجال ، ويجيد استخدام السلاح ، ثم إنه يتميَّز بقوة بدنية خارقة ، تؤهله لمساعدتك فى التعامل مع هؤلاء الأوغاد ، فضلًا عن وجود ثأر بينه وبينهم ؛ لأن أخاه كان أحد القتلى ، فى عملية اقتحامهم لمبنى (إدارة الأمن الوطنى) .

ممدوح :

ــ حسنًا .. سأنتظره فى العاشرة مساءً ؛ لندرِّب عضلاتنا مع روَّاد تلك الأماكن المشبوهة ، ولنبدأ معًا المعركة ..

* * *

كان (ممدوح) يبدِّل ثيابه فى العاشرة تمامًا ، عندما تناهت إلى مسامعه طرقات منتظمة على باب منزله ، ففتح الباب ، ليجد أمامه شخصًا ضخم الجثة ، عريض المنكبين ، كثّ الشارب ، له رأس مربَّع ، يعلوه شعر قصير ، يكاد يختفى تمامًا

عند الفَوْدَيْن ، وكان الرجل يرتدى صدارية من الجلد الأزرق ، وأسفلها قميص أصفر ، وقال فى صوت أجش :

— الجاويش (حيدر) فى خدمتك يا سيادة المقدَّم .

تطلَّع إليهْ (ممدوح) ، وهو يقول :

— هل تعلم طبيعة مهمَّتنا ؟

— نعم يا سيِّدى .

— ألا تشعر بالخوف مما ستقدم عليه ؟

— لست أعرف معنى كلمة (الخوف) يا سيِّدى .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

— لو أن الجميع هنا مثلك ، فسنقضى على أولئك الأوغاد فى يوم واحد .. انتظر .. سأكمل ارتداء ثيابى ونذهب معًا .

الجاويش (حيدر) :

— أنا فى انتظارك يا سيِّدى .

ممدوح :

— بالمناسبة .. لا داعى للتحدُّث رسميًا ، فسنقاتل منذ هذه اللحظة كتفًا إلى كتف .

ازداد انتصاب الجاويش (حيدر) ، على نحو عسكرى تمامًا ، وبدت على شفتيه ابتسامة جذلة ، وهو يقول :

— إننى أنتظر تلك اللحظة يا سيِّدى .. أنتظرها بفارغ الصبر ..

***

٤ — تحدِّى الأشرار ..

كانت تلك الحانة ، التى دخلها (ممدوح) والجاويش (حيدر) ، مثيرة للاشمئزاز حقًا ، تفوح منها رائحة خمر تختلط بدخان التبغ والعرق ، والجدران قذرة ، والأثاث كذلك ، أما عن البشر ، فمظهرهم ينبئ عن مخبرهم من الوهلة الأولى ، بحيث لا يخطئ المرء علائم الشر والرذيلة فى وجوههم ، ولا يشك فى أنهم زبائن دائمين للحانة القذرة ..

ولقد أثار دخول (ممدوح) ورفيقه الارتياب والقسوة فى العيون ، التى راحت تتابعهما وهما يخترقان الصفوف المتراصة ، ويتجهان فى خطوات جسورة إلى إحدى الموائد ، ولكن ساقى البار أومأ برأسه لأحد رجاله ، ممن حفرت الشراسة اسمها على وجوههم ، فاعترض الرجل طريق (ممدوح) ، وقال فى غلظة :

— أتبحث عن مائدة خالية ؟

أجابه (ممدوح) فى ثبات :

— لو أردت واحدة ، فسأختارها بنفسى .

دفع الرجل (ممدوح) براحته ، قائلًا :

— نحن هنا لا نرحِّب بالغرباء ، ابحث عن مائدتك فى مكان آخر .



أطبق بيده الأخرى على حزام وسط الرجل ، ودفعه ليرتطم بالموائد فى عنف ، ويسقط معها أرضًا .

فجأة ، أطبق (ممدوح) بيده على معصم الرجل ، ولوى الذراع كلها خلف ظهره ، فصرخ الرجل من فرط الألم والمفاجأة ، ودون أن يبالى (ممدوح) بالتحفز الذى قفز إلى عيون الآخرين ، أطبق بيده الأخرى على حزام وسط الرجل ، ودفعه ليرتطم بالموائد فى عنف ، ويسقط معها أرضًا ، فى حين واصل (ممدوح) ورفيقه طريقهما ، حتى مائدة يجلس عندها رجل أصلع ، متين البنيان ، وآخر أشعث شاحب ، راحا يتبادلان مع (ممدوح) و(حيدر) نظرات قاسية ، حتى استردَّ الرجل — الذى ألقاه (ممدوح) أرضًا — توازنه ، ونهض واقفًا ، واستلَّ مُدْية من غِمْدٍ حول ساقه ، وانقضَّ على (ممدوح) ، ليطعنه من الخلف ، ولكن يد (حيدر) أطبقت على رسغه فى قوة ، ولوت ذراعه خلف ظهره مرّة أخرى ، ثم هَوَت قبضة (حيدر) الأخرى على مؤخرة عنق الرجل كالمطرقة ، فسقط فاقد الوعى ..

أما (ممدوح) ، فقد انقضَّ على الأشعث الشاحب ، وحمله من مقعده فى عنف ، وألصقه بالجدار فى قوة ، قائلًا :

— اعترف يا رجل .. اعترف بأنك تتعاطى الهيروين .

غمغم الرجل بحروف مضطربة :

— هيروين ؟!.. أى هيروين ؟.. لست .....

قاطعه (ممدوح) :

— دعنا نتعارف أوّلا ، قبل أن تتمادى فى كذبك .. أنا ضابط فى (إدارة الأمن الوطنى) منذ أمس فقط ، ولقد أتيت خصيصًا لأنظف هذه البلدة من القاذورات أمثالك .. والآن أجب على الفور : من يعطيك هذا السُّمّ ؟.. أهو ذلك الأصلع القذر .

أبرز الأصلع مسدّسًا من جيب معطفه فى سرعة ، وصوّبه إلى (ممدوح) ، هاتفًا فى حِدَّة :

— اسمع يا رجل .. لن يعنينى من تكون ، وسأطلق النار عليك وعلى رفيقك هذا ، لو لم تترك الرجل لشأنه ، وتغادر الحانة على الفور .

التفت (ممدوح) إلى (حيدر) ، وسأله فى هدوء :

— ما رأيك ؟

أجاب (حيدر) فى برود :

— لست أرغب فى مغادرة المكان الآن .

وفجأة ، ركل (ممدوح) مسدّس الأصلع ، وأطاح به بعيدًا ، وهو يقول :

— ولا أنا فى الواقع .

وأعقب قوله بلكمة على فك الأصلع ، وركله فى صدغه ركلة ، استخدم فيها سرعته ، وبراعته فى رياضة (الكاراتيه) ، ليقذف الأصلع بين الموائد ، ثم يلتقط مسدّسه ، ويلتفت إلى الحاضرين ، مصوّبًا إيّاه إليهم ، وقائلا :

— سأكتفى اليوم بهذين الوغدين ، ما لم يرغب أحدكم فى أن أرسله إلى الجحيم .

انتزع (حيدر) مسدّسه ، وراح يطلق النار على زجاجات الخمر فى البار ، وأطاح بها كلها ، فى نفس اللحظة التى كان فيها السّاقى يحاول التقاط بندقيته خلسة ، فأسرع هذا الأخير يعتدل ، ويتراجع مرتجفًا ، و(ممدوح) يستطرد :

— هأنتم أولاء قد رأيتم كيف أن زميلى يتميّز برد فعل سريع مثلى .

ثم اتجه نحو الأصلع ، الذى ما زال متكوّمًا ، وراح يفحص معطفه فى سرعة ، قبل أن ينتزع منه كيسين من الهيروين ، حملهما إلى حيث الشاحب ، وهو يقول :

— هو إذن من يمدّك بالسُّموم .

راح الشّاحب يحدّق فى الكيسين بعيون زائغة ، فأردف (ممدوح) :

— لو أنك ترفض الحديث فلا بأس .. سنقودك أنت وذلك الوغد الأصلع إلى إدارة الأمن ، ولدينا هناك وسائل مناسبة لاستخلاص الحقائق .

انقضّ (حيدر) على الرجلين كالوشق ، ودفعهما أمامه إلى الخارج ، فى حين حاول أحد رُوّاد الحانة إخراج مسدّسه ، فعاجله (ممدوح) برصاصة هشّمت يده ، وراح يصرخ ألمًا ، و(ممدوح) يقول :

— إنه مجرّد تحذير .. رصاصتى القادمة ستستقر فى القلب مباشرة ، وليعلم الجميع أننى ما أتيت إلى هذه المدينة إلّا بهدف تطهيرها تمامًا ، ولن أغادرها قبل أن أحقق هذا الهدف ، وليتذكّر كل مجرم هنا اسم (ممدوح عبد الوهاب) ، فسيحرمه شبح هذا الاسم لذّة النوم إلى الأبد ..

* * *

سأل (ممدوح) الجنرال (قويم) فى اهتمام شديد :

— هل اعترف الرجلان ، أو أدليا بأيّة أسماء ؟

أجابه الجنرال فى أسف :

— لا .. لقد أخبرتك أنهم يثقون فى مساعدة رؤساء المنظمة تمامًا ، بنفس القدر الذى يخشونهم به .

قال (ممدوح) فى هدوء :

— هذا لا يهمّ حاليًا .. المهم أننى قد أحدثت الأثر المطلوب ، فما إن يبلغ التحدّى تلك الرءوس الكبيرة ، حتى يسعوا لإثبات قوتهم وسطوتهم مرّة أخرى ، أمام رجالهم على الأقل ، ويسعوا للتخلّص منّى ، وكلما خرجت أعداد أخرى من الجرذان من جحورها ، ازداد قربنا من أوكار الأفاعى .

الجنرال (قويم) :

— هذا يستدعى مزيدًا من الحرص ، فالخطر يتضاعف .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

— الأفضل أن توجّه نصيحتك هذه لأوغاد المدينة يا سيّدى الجنرال ، فهم من يُعانى الخطر الحقيقى .

راقبه الجنرال حتى انصرف ، ثم غمغم فى توتّر :

— مَنْ يدرى أيها المصرىّ ؟.. مَنْ يدرى ؟..

* * *

٥ ــ عصا الموت ..

كان المنزل ، الذى يقيم فيه (ممدوح) فى (غيدان) ، عبارة عن فيلًا محاطة بجدار من الحجر ، يتوسطه باب معدنى ، يقود إلى حديقة الفيلًا ، ولم يكد (ممدوح) يعبر هذا الباب المعدنى ، فى الليلة نفسها ، عائدًا إلى الفيلا ، حتى توقف أمام عتبة باب الفيلا ، وأخرج من جيبه مصباحًا يدويًا صغيرًا ، سلّط ضوءه على العتبة ، فانبعث منه ضوء أخضر خاص ، كشف لعين (ممدوح) نوعًا خاصًا من الأتربة ، نثرها على باب الفيلا قبل مغادرته إيّاها ، وفوق الأتربة كانت هناك آثار زوج من الأحذية ، تشير إلى أن شخصًا ما قد وقف أمام الباب عدة لحظات ، فأعاد (ممدوح) المصباح إلى جيبه ، قائلًا :

ــ يبدو أن لدينا زائرًا ما .

فتح الباب فى حرص ، وهو يحمل مسدّسه ، ويرهف سمعه تحسبًا لأية مفاجأة ، وكانت الردهة مظلمة ، فألصق ظهره بالجدار المجاور للباب ، وأضاء المكان ، ولكن كل شىء بدا له عاديًا ، فراح يفحص المنزل كله فى حرص وحذر ، دون أن يجد شيئًا ، أو أثرًا للرجل الذى اقتحم المكان فى غيابه ..

وقبل أن تبلغ حيْرته أقصاها التقطت عيناه حركة ضئيلة ، فى

أحد الألواح الزجاجية الملوّنة ، التى تغطى سقف الرّدهة ، وأدرك على الفور أن غريمه لم يتسلّل إلى داخل الفيلا ، بل صعد فوقها ..

وفجأة ، انقضّ الرجل من السقف ، وهو يطلق صرخة مخيفة ، ويَهوى على ساعد (ممدوح) بعصا خشبية ، مطيحًا بمسدّسه ، ومسبّبًا له آلامًا رهيبة ، جعلت (ممدوح) يمسك معصمه فى ألم ، ويتطلّع إلى غريمه ، الذى راح يؤدّى بعض الحركات البهلوانية الشديدة البراعة بعصاه ، وهو يقف بلثامه أشبه بالشبح ، أمام (ممدوح) ، محاولًا إبراز مهارته فى استخدام ذلك السلاح البدائى ، ولكن (ممدوح) ظلّ ثابتًا ، متحفّزًا ، ينتظر بدء الهجوم ، ثم فجأة ، وعندما حانت لحظة الضربة الحاسمة من العصا ، قفز (ممدوح) إلى الخلف ، وتعلّق بمصراعى النافذة المفتوحة ، ثم ضمّ ركبتيه إلى صدره ، وفردهما فى عنف ؛ ليصيب غريمه بضربة كالقنبلة فى وجهه ..

واختلّ توازن الرجل قليلًا ، ولكنه ظلّ مسيْطرًا على عصاه ، إلّا أن (ممدوح) انقضّ عليه ، وأسقطه أرضًا تحت ثقل جسمه ..

وأثبت الرجل أنه بارع محترف بحق ، فلقد دفع قدميه فى معدة (ممدوح) ، ومال إلى الخلف ؛ ليدفع هذا الأخير إلى الوراء فى عنف ، ولكن (ممدوح) امتصّ صدمة السقوط بدحرجة سريعة ، هبّ بعدها واقفًا ، إلا أن خصمه بدا هذه

المرّة أشد قوة وخطورة . فلقد ضغط زرًا صغيرًا فى العصا ، برزت إثره أطراف حادّة فى مقدمتها . حوّلتها إلى سلاح قاتل ، شديد الخطورة هذه المرّة ؛ إذ يكفى أن تصيب عنقه ، لتجتثه عن جسده مع براعة صاحبها وقوّته ..

وتفادى (ممدوح) ضربة قاتلة من العصا فى أعجوبة ، وتفادى أخرى بانحناءة بارعة ، أشبه بالمعجزة ، واستغلّ اندفاع خصمه فى هذه المرّة ، ليباغته بلكمة فى عنقه ، جعلته يرتطم بحوض أسماك زينة ضخم ، كان يتوسّط الرّدهة ، فأسرع (ممدوح) يلتقط منضده صغيرة ، ويهوى بها على رأس غريمه ، قبل أن يستعيد توازنه ، مما دفع رأس الرجل داخل حوض الأسماك ، الذى تهشّم ، وسالت مياهه أرضًا ..

وتصوّر (ممدوح) أن هذه الضربة تكفى لحسم الصراع ، إلّا أن غريمه نهض بوجه أغرقته الدماء ، وقد ازداد عدوانيةً وشراسةً وحدّة ، وبدا أشبه بذئب جريح ، وراح يُطوّح عصاه فى كل الاتجاهات ، محطّمًا كل ما يقابله ، وقد حجبت الدماء السائلة عن عينيه الرؤية تقريبًا ، وأصابت إحدى ضرباته تمثالًا برونزيًا ، على قيد خطوات من (ممدوح) ، وحطّمت الأخرى شاشة جهاز تلفاز ، فى حين حمل (ممدوح) الجهاز ، ليصدّ به الضربة الثالثة ، التى شطرت

الجهاز شطرين ، فأسرع يحمل مقعدًا لصدّ الضربة الرابعة ، التى غاصت فى جسد المقعد ..

وقبل أن يجذب الرجل عصاه من المقعد ، عاجله (ممدوح) بلكمة حديديّة ، أطاحت به جانبًا ، وأجبرته على ترك عصاه ، ولم يكد ينهض ويمسح الدماء عن عينيه ، حتى رأى عصاه فى يد (ممدوح) ، الذى هوى بالطرف المفلطح منها على رأس الرجل ، فأسقطه فاقد الوعى بلا حراك ..

وتنفّس (ممدوح) الصُّعَداء ، وشعر أنه قد تخلّص على التوّ من كابوس ثقيل ، فألقى العصا جانبًا ، وتناول سمّاعة الهاتف ، واتّصل بإدارة الأمن الوطنى ، قائلًا :

ــ أنا المقدّم (ممدوح عبدالوهاب) .. لقد التقيت على التوّ بزائر ثقيل الظل ، ويبدو أن حديثى معه كان مملًا للغاية ، فقد استغرق فى سُبات عميق .. أرسلوا بعض الجنود لاصطحابه إليكم .

وعندما أعاد سمّاعة الهاتف إلى موضعها ، كان يعرف أن المعركة قد بدأت ..

وأن الحرب قد اشتعلت فى (دوناى) ..

* * *



رأى عصاه فى يد (ممدوح) ، الذى هوى بالطرف المفلطح منها على رأس الرجل ، فأسقطه فاقد الوعى بلا حراك ..

٦ ــ المقامر الجرىء ..

استقبل الجنرال (قويم) (ممدوح) ، وهو يقول :

ــ لقد أدلى الرجل ببعض المعلومات ، وأعتقد أنها ذات فائدة .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ــ ألم أقُل لك يا سيِّدى إن بعض الدعاية تجلب المزيد من الزبائن .

الجنرال (قويم) :

ــ غريمك قاتل محترف ، تمَّ استئجاره لحساب رجل يدعى (أنطوان) ، يدير ناديًا سرِّيًّا للقمار ، فى أحد أرقى أحياء المدينة ، وهو على صلة وطيدة بـ (سعدان) ، أو بمعنى أدق ، هو يعمل لحسابه .

ممدوح :

ــ هذا يدفعنى لزيارة نادى القمار إذن .

قالها وهو يعنى كل حرف من عبارته ، بدليل أنه أوقف سيارته أمام النادى فى المساء ذاته ، بعد أن أبدل ملامحه ببعض وسائل التنكُّر ، وأشعل سيجارته ، وهو يلقى نظرة على سيارة أخرى ، تقف على قيد ثلاثة أمتار منه ، وبداخلها الجاويش

(حيدر) ، قبل أن يغادر سيارته ، ويقترب من بوّابة النادى الحديدية ، ويضغط زرّ الجرس المجاور لها .

وأطلّ وجه حادُ القسمات من خلف البوّابة ، وقال صاحبه فى لهجة غليظة ، لا تحمل ذرّة من المودّة :

ــ ماذا تريد ؟.. إنه ناد خاص .

أدلى (ممدوح) بكلمة السرّ ، التى اعترف بها خصمه فى (إدارة الأمن الوطنى) ، مغمغمًا :

ــ بسماك .

مضت لحظات ، ثم فتح الرجل الباب لـ (ممدوح) ، قائلًا :

ــ تفضّل .. هل تعرف طريقك ؟

ابتسم (ممدوح) ، وهو يتابع طريقه فى ثقة ، نحو المبنى الداخلى ، قائلًا :

ــ لن يصعب اهتدائى إليه .

انتقل إلى قاعة فسيحة ، تتردّد موسيقى كلاسيكية فى جنباتها ، حيث استقبلته عجوز بابتسامة ترحاب ، وهى تقول :

ــ هل السيّد عضو جديد ؟

أجابها فى هدوء :

ــ نعم .

عادت تسأله :

ــ ألديك بطاقة عضوية ؟

حار وهو يبحث عن جواب ، فلم تكن لديه أيّة فكرة عن بطاقة العضوية هذه ، ولم يجد ما يقوله سوى أن يكرّر كلمة السرّ (بسماك) ، ولحسن حظه اكتفت العجوز بهذه الكلمة ، وقادته إلى إحدى الحجرات ، وأوقفته أمام مكتبة ضخمة ، وضغطت زرًا خفيًا ، إلى جوار المكتبة ، فتحرّك جانب منها كاشفًا عن فراغ كبير ، دعت العجوز (ممدوح) إلى عبوره ، قائلة :

ــ تفضّل .. ستجدهم فى انتظارك .

عبر (ممدوح) الفراغ ، واجتاز ممرًا قصيرًا ، ثم عادت المكتبة تُغلَق خلفه ، وهو يواصل طريقه ، حتى بلغ حجرة كبيرة ، فاخرة الأثاث ، تتوسّطها مائدة خضراء ضخمة ، التفّ حولها عدد من الأشخاص ، يمارسون ألعاب القمار ، وسأله أحدهم فى احترام :

ــ أتحبّ أن تنضمّ إلينا ؟

أجابه بابتسامة عريضة ، وهو يقول :

— سأكتفى بالمشاهدة فى البداية .

انحنى الرجل مستسلمًا لقراره ، وعاد إلى المائدة الخضراء .

فى حين وقف شخص عند نهاية الحجرة ، يراقب (ممدوح) فى اهتمام ، قبل أن يسأل رفيقه فى فضول :

— من هذا الرجل ؟

أجابه أحد رفيقيه :

— لم أرهُ هنا من قبل .

وقال الثانى :

— لعله عضو جديد .

ولكن الإجابة لم تشبع الرجل ، فقال فى شك :

— ليس لدينا أى أعضاء جُدد ، ولم يُخطرنى أحد برغبته فى الانضمام إلينا ، طوال الشهرين الماضيين .

قال الأوّل :

— أتحبُ أن أتحقق من شخصيته ؟

أجابه الرجل :

— بل أحضراه إلى هنا .

اتجه الرجلان إلى حيث يقف (ممدوح) ، وسأله أحدهما :

— أأنت عضو جديد بالنادى ؟

ابتسم (ممدوح) ، قائلاً :

— نعم .

قال الآخر :

— حسنًا .. السيِّد (أنطوان) ، مدير النادى ، يرغب فى تعرُّفك .

ممدوح :

— ألا يمكن أن نؤجل هذا التعارف ، حتى أنتهى من مشاهدة ذلك الشوط ؟

أجابه الرجل وصوته يحمل رنَّة تهديد واضحة :

— السيِّد (أنطوان) لا يحب الانتظار .

صحبهما (ممدوح) فى هدوء ، إلى حيث يجلس (أنطوان) ، الذى صافحه ، ودعاه إلى الجلوس ، قائلاً :

— هل أخبروك أننى أدير هذا النادى الخاص ؟

ممدوح :

— نعم .. وأهنئك على الطريقة ، التى تدار بها الأمور هنا .. قاعة موسيقى ، ومكتبة تخفى ممرًا سريًا ، وحجرة قمار على أحدث طراز .

أنطوان :

ـــ تسعدنى تهنئتك ، ولكن قل لى : كيف تسنّى أن أدير هذا المكان ، دون أن أعلم أنك عضو فيه ؟
أجابه (ممدوح) فى ثبات :
ـــ إنها أوّل مرّة أحضر فيها إلى هنا ، فأنا عضو جديد .
أنطوان :
ـــ ولكننى لا أقبل أى أعضاء جُدد ، ما لم ألتق بهم مسبقًا .
ممدوح :
ـــ هناك بعض التجاوز من جانبى فى الواقع ، ومن جانب ذلك الزميل ، الذى أرشدنى إلى المكان ، وأبلغنى بكلمة السرّ لدخوله .
سأله (أنطوان) ، وهو يتفرّس فى ملامحه بنظرات ثاقبة :
ـــ وما اسم صديقك هذا ؟
أجابه (ممدوح) فى هدوء :
ـــ (سيتو) ..
كان هذا هو اسم الملثم ، الذى تغلّب عليه (ممدوح) ، فتطلّع إليه (أنطوان) لحظة فى دهشة ، قبل أن يغمغم فى سُخرية :
ـــ إذن فـ (سيتو) هو من أرسلك إلى هنا ؟!
لم يتخلّ (ممدوح) عن ثباته ، وهو يقول :
ـــ نعم ، فهو يعلم أننى أعشق المُقامَرة .

أنطوان :
ـــ حسنًا .. لا ريب أنك تحمل مبلغًا لا بأس به من المال إذن ، لم لا تشارك الآخرين ألعابهم ، ما دمت تعشق المقامرة ؟
ممدوح :
ـــ معذرة ، ولكننى رجل شديد الحذر ، وقد قرّرت الاكتفاء بالمشاهدة بعض الوقت ؛ لأعرف كيف تدار الأمور هنا ، وأقرّر بعدها ما إذا كنت سألعب أم لا .
أنطوان :
ـــ نحن أيضًا نتميّز بالحرص والحذر يا سيّد .....!
ممدوح :
ـــ (كريم) . اسمى (كريم) .
أنطوان :
ـــ حسنًا يا سيّد (كريم) .. كلمة السرّ سمحت لك بدخول نادينا ، ولكن صداقتك لـ (سيتو) لن تمنعنا من تطبيق القواعد عليك ، فنحن هنا نفتش الجميع ، وخاصّة الأعضاء الجُدد ، فهناك أشياء يحظر دخولها إلى هنا .. كالأسلحة مثلًا .
ممدوح :
ـــ ليس لدىّ أدنى اعتراض على قواعدكم .

ابتسم (أنطوان) ، قائلا :

ــ يسعدنى تجاوبك هذا ، ستصحب هذين الرجلين إلى الحجرة التى أتيت منها ، حيث يقومان بتفتيشك ، ثم تعود .

تبع (ممدوح) الرجلين إلى الحجرة التى أتى منها ، فى حين اقترب أحد الحاضرين من (أنطوان) ، وسأله :

ــ قُل لى : لِمَ تهتم بهذا القادم الجديد ، على نحو يفوق المعتاد ؟.. أهو مقامر جيِّد ؟.

أجابه (أنطوان) فى سُخرية :

ــ إنه مقامر جرىء على أيَّة حال ، فهو هنا يقامر بما هو أكثر من المال .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى صوت يحمل رنة قلق ، على الرغم من السُخرية فى حروفه :

ــ بحياته ..

* * *



٧ ــ مواجهة الموت ..

راح الرجلان يفتشان (ممدوح) فى دقة وعناية ، دون أن يعثرا على شىء ، وهو يقول لهما فى سُخريته المعهودة :

ــ هل تأكَّدتما الآن من أننى ألتزم بالقواعد .

دفعه أحدهما فى خشونة ، وهو يقول :

ــ تعالَ معنا .

ممدوح :

ــ إلى أين ؟

أجابه الرجل فى غِلظة :

ــ سنفحص سيارتك .

قال فى سُخرية ، وهو يصحبهما إلى الخارج :

ــ إنكما تطبقان قواعد أكثر قسوة من قواعد رجال جمارك دولتكما .

راح أحد الرجلين يفحص سيارة (ممدوح) من الداخل فى عناية ، داخل (الجراج) الملحق بالنادى ، فى حين أغلق الآخر باب (الجراج) ، وألصق ظهره به ، فتحرَّكت فى أعماق



وقذف الخنجر نحو الرجل فى قوة ، واخترق الخنجر معصم الرجل ، فأطلق صرخة ألم عالية ..

(ممدوح) غريزة الشعور بالخطر ، خاصة وقد رأى الرجل الثانى يدسّ يده أسفل سترته ، والأوّل يقول فى خشونة :

ــ افتح حقيبة السيارة الخلفية .

انحنى (ممدوح) يفتح حقيبة السيارة ، وانتهز الرجل ــ الذى يقف خلفه ــ الفرصة ، وانتزع من جيبه خنجرًا ، دفعه نحو عنق (ممدوح) بلا تردُّد ..

وبأسرع من البرق ، كان (ممدوح) ينحنى متفاديًا النصل القاتل ، ثم يلتقط رافع السيارة من الحقيبة ، ويهوى به على معدة الرجل ، الذى انثنى صارخا فى ألم ، فهوى (ممدوح) على رأسه بضربة أخرى دفعت رأس الرجل داخل حقيبة السيارة ، فأغلقها (ممدوح) على عنقه فى قوة ، ثم انحنى يلتقط الخنجر ، الذى سقط أرضًا ، فى حين كان الرجل الآخر قد تغلّب على أثر المفاجأة ، وأسرع ينتزع مسدسه ، هاتفًا :

ــ حسنًا يا رجل ، مادمت ترفض الرحيل عن الدنيا فى صمت ، فليكن رحيلك صاخبًا إذن .

أطلق رصاصة مسدسه نحو (ممدوح) ، ولكن الرصاصة لم تصب بطلنا ، الذى مال فى سرعة ، وقذف الخنجر نحو الرجل فى قوة ، واخترق الخنجر معصم الرجل ، فأطلق صرخة ألم

عالية ، قبل أن يعاجله (ممدوح) بلكمة قوية ، ألقته أرضًا ، وأسقطت مسدّسه ، الذى أسرع (ممدوح) يلتقطه ، قبل أن ينتزع الخنجر من معصم الرجل ، ويقول :

ــ والآن ماذا تفضّل أنت ؟.. ميتة صامتة ، أم صاخبة ؟!

خرّ الرجل على ركبتيه ، هاتفًا فى هلع :

ــ لا .. لا أريد أن أموت .. لا تقتلنى .. أرجوك .

ممدوح :

ــ هذا يتوقّف على مدى استعدادك للتعاون .

هتف الرجل فى صوت مرتعد :

ــ سأنفّذ كل ما تطلبه منّى .

ممدوح :

ــ حسنًا .. هناك هاتف مثبت إلى جوار الباب .. اتصل بـ(أنطوان) ، واطلب منه الحضور إلى هنا .

قال الرجل متردّدًا :

ــ ولكن .....

قاطعه (ممدوح) :

ــ ستنفّذ ما أطلبه منك ، وسأبقى إلى جوارك ، ومعى المسدّس والخنجر .

أطاع الرجل ، واتصل بـ(أنطوان) ، وقال له :

ــ لقد تخلّصنا من ذلك الرجل .

أنطوان :

ــ ضعاه فى سيارته ، وألقيا بها فى البحر كالمعتاد .

أجابه الرجل ، وهو يخفى التوتّر والألم فى صوته :

ــ كما تأمر أيها الزعيم ، ولكننا عثرنا معه على بضع أوراق ، رأيت أنه من المفيد أن تطّلع عليها .

قال (أنطوان) فى لهجة قاطعة سريعة :

ــ هذا لا يعنينى ، تخلّص منه ومن أوراقه .

تطلّع الرجل إلى (ممدوح) فى توتّر وتساؤل ، فأشار إليه (ممدوح) بيده فى سرعة ، وترجم الرجل هذه الإشارة إلى كلمات ، قائلًا :

ــ هناك نقطة أخرى .. لقد ألقينا القبض على رفيقه .

هتف (أنطوان) فى دهشة :

ــ رفيقه ؟!

أجابه الرجل :

ــ نعم .. لقد قيّدناه هنا فى (الجراج) ، ولم نتخذ قرارًا بشأنه ، والأفضل أن تراه بنفسك .

أنطوان :

ـــ أنا قادم على الفور .

أعاد الرجل سمّاعة الهاتف ، وهو يقول لـ (ممدوح) فى توتُّر :

ـــ إنه قادم .

ممدوح :

ـــ حسنًا .. لقد كنت طفلًا مطيعًا ، وأبديت تعاونًا كافيًا .. تعالَ معى لنخرج زميلك من حقيبة السيارة .

تبعه الرجل ، ومال ليفتح الحقيبة ، ولم يكد يفعل حتى هوَى (ممدوح) على مؤخرة عنقه بمسدسه ، ودفعه داخل الحقيبة ، وأغلقها عليه مع زميله ، واختبأ خلف إحدى السيارات ، حتى وصل (أنطوان) ، وراح ينادى رجليه ، حتى أصابه الشك لغيابهما ، فمدّ يده ينتزع مسدّسه من جيب سترته ، لولا أن شعر بفوّهة مسدّس (ممدوح) تلتصق بظهره ، وسمع صوت هذا الأخير يقول :

ـــ حذار أن تفعل يا رجل ، وإلا اخترقت رصاصتى جسدك على الفور .. لعلك تشعر بالدهشة لغياب رجليك !.. ولكن اطمئن .. إنهما يرقدان فى حقيبة سيارتى فى هدوء

وسلام .. إنها نفس السيارة التى أردت وضعى فى حقيبتها ، وإلقائى من فوق هُوَّة إلى البحر .

تماسك (أنطوان) ، وهو يقول :

ـــ ما الثمن الذى تطلبه ؟

قال (ممدوح) ساخرًا :

ـــ هى محاولة رشوة إذن ، ستضاف إلى تهمة إدارة ناد سرّىّ ، لألعاب القمار المحظورة فى البلاد .

أنطوان :

ـــ أنت شرطى إذن ؟!

قال (ممدوح) ، دون أن يتخلّى عن سُخريته :

ـــ أهنئك على ذكائك .

أنطوان :

ـــ يبدو أنك حديث العهد بالعمل هنا ، ولا تدرى كيف تدار الأمور بالبلاد .

ممدوح :

ـــ كلّا ، ولكننى أعلم أن البلاد ستكون أكثر نظافة بدونكم .

أنطوان :

ـــ أأنت من هاجم حانة (النجمة الزرقاء) ؟

ممدوح :

ــ يسرُّنى أن تجوب شهرتى (غيدان) بهذه السرعة .

أنطوان :

ــ ستدفع ثمن هذه الشهرة غاليًا ، فهناك كبار يطلبون رأسك .

ممدوح :

ــ لا بأس .. أنا أطلب رءوسهم بدَوْرى .

أنطوان :

ــ يالك من مغرور !.. ألا تدرك خطورة اللُّعبة ؟!

ممدوح :

ــ فلنقل إننى أهوى الألعاب الخطرة ، والآن هيَّا بنا ، فلدىَّ بضعة أسئلة لك ولأعوانك ، وستقتحم قوة من الشرطة المكان بعد قليل ، لتغلقه ، وتلقى القبض على زبائنه ، ورجالك .

تظاهر (أنطوان) بالطاعة ، وفتح باب سيارة (ممدوح) ، وجلس على مقعدها الأمامى ، وانتظر حتى اقترب (ممدوح) ، وهو يصوِّب إليه مسدَّسه ، فدفع الباب فى قوة ، ليضرب يد (ممدوح) ، المسكة بالمسدَّس ، وصرخ (ممدوح) ، ولكن

المسدَّس لم يُفلت ، فى حين قفز (أنطوان) إلى مقعد القيادة ، وأدار محرِّك السيارة ، وانطلق بها ، إلَّا أن (ممدوح) قفز كاللَّيث ، وتشبَّث بمقدِّمة السيارة ، التى عبَر بها (أنطوان) (الجراج) ، وانطلق نحو بوَّابة النادى الخارجية ؛ وقد احتشدت كلّ إرادته للفرار من المكان ، قبل وصول قوَّة الشرطة ..

وصرخ (أنطوان) فى حارس البوَّابة :

ــ افتح البوَّابة فى سرعة .

ذُهل الحارس لسرعة السيارة ، ولمشهد (ممدوح) المتشبِّث بمقدمتها ، إلَّا أنه أطاع الأمر فى سرعة ، وعبَر (أنطوان) البوَّابة كالصاروخ ، وراحت ترتجُّ فى قوَّة ، حتى أن مسدَّس (ممدوح) قد سقط تحت إطاراتها ، وأصبح جسده نفسه معرَّضًا للَحاق به ..

وكان هذا ما يبتغيه (أنطوان) بالضبط ..

الفرار ..

وسَحْق (ممدوح) ..

* * *

٨ — طيور الدَّمار ..

فجأة ، انطلقت رصاصة من مسدَّس (حيدر) ، أصابت إطار السيارة ، التى ينطلق بها (أنطوان) ، فانفجر الإطار ، ومالت السيارة فى قوَّة ، وسقط عنها (ممدوح) أرضًا ، إلا أن (أنطوان) أحكم سيطرته عليها فى سرعة ، وأخرج مسدَّسه الإضافى ، وأطلق منه رصاصتين على سيارة (حيدر) ، الذى تفاداهما بإخفاء رأسه فى الوقت المناسب ، فى حين غادر (أنطوان) السيارة ، وراح يعدو محاولًا الفرار ..

وهبَّ (ممدوح) من سقطته ، وانقضَّ عليه فى قوَّة ، وأحاط خصره بساعديه ، وألقاه أرضًا ، ثم لوَى ذراعه خلف ظهره ، ودفع وجهه بعنف فى التراب ، مما جعل (أنطوان) يطلق صرخة قصيرة ، وهو يترك مسدَّسه مُرغمًا ..

وانطلق (حيدر) بسيارته نحو (ممدوح) ، وهتف به :

— اقفز إلى هنا مع صيدك ، فكلاب الفريق كلها تطاردنا .

لم يكد يتمُّ عبارته ، حتى دوَّت رصاصات رجال (أنطوان) ، الذين أبلغهم حارس البوَّابة بما حدث ، فانتبهوا

للأمر ، وهبُّوا لمساعدة زعيمهم وإنقاذه ، وراحوا يمطرون سيارة (حيدر) برصاصاتهم ، إلا أن (حيدر) ظلَّ ثابتًا ، وهو يفتح باب السيارة الخلفىَّ ، الذى دفع (أنطوان) داخل السيارة ، وقفز خلفه ، ثم راح يطلق النار على مطارديه ، ويُرْدِى بعضهم قتلى ، و (حيدر) ينهب الأرض نهبًا بالسيارة ، حتى اطمأنَّ إلى أنه قد ابتعد عن المكان بما يكفى ، فقال :

— ما حصيلتنا اليوم ؟

ابتسم (ممدوح) ، وهو يلصق فُوَّهة مسدَّسه بجسد (أنطوان) ، قائلًا :

— ثلاثة أوغاد !.. اثنان منهما فى الصندوق الخلفى للسيارة الأخرى ، ولكن هذا هو الصيد الكبير ، فمكانته لدى الرءُوس الكبيرة ستجعل لإلقاء القبض عليه ، وإيقاف نشاط ناديه الوقع المطلوب ، ولا ريب أن هذا سيدفع المزيد من الغضب إلى تلك الرءُوس ، ويأتى إلينا بمزيد من العمل .. والخطر ..

* * *

جلس (ممدوح) و (حيدر) داخل زورق صيد ، على مسافة غير بعيدة عن شاطئ البحر ، وقد ارتدى كل منهما زىَّ صيَّادى (دوناى) التقليدىّ ، وراحا يراقبان بمنظاريهما شاليهًا

بحريًا أنيقا على الشاطئ ، أحاط به أربعة من المسلحين ، والحذر يملأ وجوههم ، وغمغم (حيدر) مع تمايل الزورق على سطح البحر :

— إنهم ينتظرونا .

ممدوح :

— تقصد ينتظرون مهربى السلاح ، الذين اعتقلناهم .

حيدر :

— أأنت واثق من تعرُّفك ذلك الرجل ، الذى يدير المكان ، ويتخذ منه وكرًا لتجارة الأسلحة ؟

ممدوح :

— نعم .. فلقد تعرَّفته بناءً على الوصف ، الذى أدلى به (أنطوان) فى اعترافاته ، ولقد كان أحد رُوّاد نادى المقامرة أمس .

حيدر :

— إنك لم تضع وقتك فى النادى سدًى إذن ، فقد تفحَّصت الوجوه ، وتعرَّفتها .

ممدوح :

— هذا جزء من تدريباتى .. المهم الآن أن نحاول إنهاء هذه

العملية فى سرعة وإتقان ، قبل أن يكشف ذلك الرجل (جاكو) وأعوانه حقيقتنا .

غمغم (حيدر) ، وهو يتطلع إلى الشاطئ ، عبْر منظاره :

— إنهم يراقبونا بمناظيرهم أيضًا ، وعلى وجوههم الشكّ والقلق .

أدار (ممدوح) منظاره فى المكان ، ثم أشار إلى منطقة قريبة ، قائلًا :

— تلك الأشجار المحيطة بالشاليه ، ستساعدنا على أداء مهمَّتنا ، فهى تمنحنا تغطية رائعة ، وكذلك أسراب الطيور التى تهاجر إلى الجزيرة ، والتى تحلِّق فوقنا .

قال هذا وجذب من أسفل شباك الصيد ، التى تستقر فى قرار الزورق ، صندوقًا خشبيًا متوسط الحجم . وطلب من (حيدر) أن يحجبه بجسده عن المسلحين الذين يراقبون الزورق من الشاطئ ، ورفع غطاء الصندوق ، ليكشف ثلاثة طيور آلية صغيرة ، ضغط زرًا فى جانبها ، فراحت تحلِّق مثل الطيور الأخرى ، فى طريقها إلى الجزيرة ، وهو يقول :

— من يصدِّق أن هذه الطيور الصغيرة هى قنابل شديدة التدمير ؟

راح يعمل على توجيه الطيور الآلية الثلاثة فى دقة ، حتى استقر كل منها بين أغصان إحدى الأشجار المحيطة بالشاليه ، و (حيدر) يتابع كل هذا مفغور الفاه ، وكأنه يشاهد بعض ألعاب الحواة والسحرة ، فى حين فرك (ممدوح) يده ، قائلًا :

ــ والآن فليبدأ العمل .

وانطلق بالزورق نحو الشاطئ .. ونحو الخطر ..

* * *



٩ ــ شاطئ الموت ..

لم يكد الزورق يصل إلى الشاطئ ، حتى اتجه إليه أحد المسلَّحين ، وقال (ممدوح) :

ــ لماذا انتظرت كل هذا الوقت فى الماء ؟

ممدوح :

ــ خُيِّل إلىَّ أن أحد زوارق الشرطة البحرية يتعقَّبنا .

قال الرجل فى خُشونة :

ــ هُرَاء .. الشرطة البحرية لاتأتى إلى هنا أبدًا .. هل أحضرت البضائع ؟

ــ ممدوح :

ــ نعم .. إنها فى تلك الصناديق الخشبية ، فى قلب الزورق .

التفت الرجل إلى رفاقه ، هاتفًا :

ــ هيَّا .. انقلوها إلى الداخل .

ولكن (ممدوح) استوقفه قائلًا :

ــ انتظر .. إننى لم أحصل على ثمن الأسلحة بعد .

قال الرجل فى ضيق :

ـــ سننقل الأسلحة أوّلا ، ثم تحصل على ثمنها .

اعترض (ممدوح) ، قائلا :

ـــ لا .. لقد أخبرنى ذلك الوسيط ، بينى وبين السيّد (جاكو) ، أننى سأقبض الثمن أوّلا .

ازداد ضيق الرجل ، وهو يقول :

ـــ أجننت يا رجل ؟ أتقبض الثمن قبل أن تتأكد من جودة البضائع ؟

ممدوح :

ـــ تأكّد كما يحلو لك هنا ، ثم ادفع الثمن قبل نقل البضائع .

أزاحه الرجل جانبًا ، وهو يقول :

ـــ هنا نحن نضع القواعد والشروط .

شهر الثلاثة الآخرون أسلحتهم ، فرفع (حيدر) مدفعه فى وجوههم ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت حاد النبرات ، يقول بلهجة آمرة :

ـــ توقّفوا .

لمح (ممدوح) رجلًا قصير القامة ، له شعر ولحية قصيران ، يتقدّم نحوهم ، مرتديًا قميصًا زاهيًا مفتوح الصدر ، حتى توقّف أمامه ، وسأله فى اهتمام :

ـــ إننا لم نلتقِ من قبل .. أليس كذلك ؟

ممدوح :

ـــ إنها أوّل مرّة أتعامل فيها مع تجار (غيدان) .

مدّ الرجل له يده مصافحًا ، وهو يقول :

ـــ أنا (جاكو) ، أملك هذا المكان .. تقريبًا .

صافحه (ممدوح) بدوره ، وهو يقول :

ـــ وأنا (توزوك) .

جاكو :

ـــ اسمك يُوحى بأنك إيرانى .. أهذا صحيح ؟

ممدوح :

ـــ نعم .

جاكو :

ـــ حسنًا يا (توزوك) .. أظننا سنتعامل كثيرًا فى المستقبل ، والأفضل والحال هكذا ، أن تكون أكثر ثقة فى التعامل معنا ، وسأنسى إساءاتك هذه المرّة ، وأفحص الأسلحة قبل نقلها إلى الشاليه ، أمّا أنت فتعالَ لتشاركنى كأسًا من الشراب ، وتقبض ثمن بضاعتك .

هتف أحد الرجال بغته :

— لحظة .. يبدو أننا نتعرّض لخدعة ما .

التفت إليه (چاكو) ، وهو يهتف :

— خُدعة ؟!.. لماذا ؟.. ماذا حدث ؟.. أهى أسلحة فاسدة ؟

أجابه الرجل فى حِدّة :

— بل الأمر أكثر خطورة .. فأنا أتساءل منذ البداية أين رأيت ذلك الضخم من قبل ؟. ثم تذكّرت الآن .. إنه الجاويش (حيدر) ، من (إدارة الأمن الوطنى) ، لقد تعرّفته على الرغم من تنكّره .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انتزع أحد الرجال مدفع (حيدر) ، وبرز من الشاليه رجل خامس ، صوّب مدفعه إلى (ممدوح) ، فى حين انتزع (چاكو) الشارب المستعار ، الذى يرتديه هذا الأخير ، وهتف :

— إذن فأنت ذلك الشرطىّ ، الذى أتى من (مصر) ، متصوّرًا تحقيق الأمن والنظام هنا .. أنت من يطلبه رؤسائى حيًّا أو ميتًا .

ثم التفت إلى رجاله ، مستطردًا :

— يمكنكم التخلّص من الجاويش ، أما بالنسبة لصيدنا

الثمين هذا ، فمن الضرورى أن أستشير رؤسائى بشأنه أوّلاً .

دفع الرجال (ممدوح) إلى داخل الشاليه ، وهو يفكّر فى سرعة ، فلقد أحاق به وبـ(حيدر) خطر حقيقى هذه المرّة ، وعليه أن يتحرّك فى سرعة ، قبل أن يخسر معركته كلها ..

وداخل الشاليه ، دلف (چاكو) إلى حجرة جانبية ، ليبلغ رؤساءه لاسلكيًا بما حدث ، فى حين بقى (ممدوح) فى الرّدهة ، وخلفه حارس واحد ، يصوّب مسدّسه إلى ظهره ، ولمح أمامه دورقًا للمياه ، فقال فى هدوء :

— هل يمكننى أن أتناول جرعة ماء ؟.

قال الرجل فى خشونة :

— لو انخفض كفّاك عن رأسك ، فسأحوّل جسدك إلى غربال فى لحظة واحدة .

وفجأة ، ركل (ممدوح) الدورق فى قوّة ، ليدور حول جسده ، ويرتطم بوجه الحارس ، ثم انتزع مسدّسًا يختفى أسفل إبطه ، والتفت إلى الحارس ، الذى لم يفق من أثر المفاجأة بعد ، وأرداه قتيلاً برصاصة واحدة ، فاندفع (چاكو) خارج حجرته لاستطلاع الأمر ، ولكن (ممدوح) قفز عبر نافذة الشاليه المفتوحة ، وأطلق النار على أحد المسلّحين الأربعة ، الذى كان

يهمُّ بقتل (حيدر) ، فأرداه قتيلًا بدوره ، في نفس اللحظة التي صرخ فيها (چاكو) :

ــ اقتلوا ذلك المصرى .. لقد هرب .

التفت حارسان إلى الشاليه ، حيث زعيمهما ، وقد اختفى (ممدوح) عن أبصارهما ، بين الأشجار المحيطة به ، في حين حاول الثالث إطلاق النار على (حيدر) ، إلا أن هذا الأخير انقضّ على خصمه كنمر قوى ، ولوى معصمه في قوّة ، ليجبره على التخلى عن سلاحه ، ثم حمله على كتفيه كطفل صغير ، وألقاه فوق الرمال ، وركل وجهه بقدمه ركلة أفقدته الوعى ..

وانطلق (حيدر) يختفى بدوره بين الأشجار ، و (چاكو) يصرخ في رجليه الباقيين :

ــ لماذا أتيتما إلى هنا ؟!.. الحقا بالمصرى قبل أن يفرّ .. أريده بأى ثمن .

ولكن (ممدوح) كان قد اطمأن إلى أنه هو و (حيدر) قد أصبحا بعيدين عن الشاليه بما يكفى ، فضغط زرّ جهاز إليكترونى صغير في جيبه ..

ودوّى الانفجار ..

وتحوّل الشاليه بمن فيه إلى أشلاء متناثرة ..

وهوى معقل آخر من معاقل الشرّ ..

* * *



فاندفع (چاكو) خارج حجرته لاستطلاع الأمر ، ولكن (ممدوح) قفز عبْر نافذة الشاليه المفتوحة ..

١٠ ـ الكمين ..

ألقى (سعدان) زجاجة الخمر فى عنف ، لتحطم المرآة المواجهة له ، وهو يصرخ فى غضب :

ـ (ممدوح عبد الوهاب) .. (ممدوح عبد الوهاب) .. لست أسمع هذا الاسم إلا مقترنا بمصيبة لنا !!.. كيف استطاع هذا الرجل أن يفعل بنا كل هذا ، دون أن نتمكن منه ؟ .. بل كيف بقى حيًا حتى هذه اللحظة ؟ إنه مجرد رجل .. رجل واحد ، وليس جيشًا جرارًا .

قال (هيرام) ، الذى يتطلع من النافذة فى هدوء :

ـ تذكر أنك استهنت بأمره فى البداية ، وقلت إنه ليس سوى حشرة صغيرة ، يمكننا أن نسحقها بأقدامنا .

قال (سعدان) فى ثورته :

ـ وما زال هذا هو رأيى ، ولكن ما ذنبى لو أن أصحاب الأحذية من الأغبياء ، الذين يسمحون للحشرة بالقضاء عليهم ؟

التفت إليه (هيرام) ، قائلا فى غضب :

ـ كفاك حماقة وعنادًا .. من الواضح أن هذا الرجل محترف ، وعلى درجة عالية من الكفاءة ، ويجب أن نقدره حق قدره ، لو أردنا التغلب عليه ، والتخلص من متاعبه .

سعدان :

ـ حسنًا .. سأرسل عشرات من رجالنا ، ينقبون عنه فى كل ركن من أركان المدينة ، ويأتون به حيًا أو ميتًا .

هيرام :

ـ لا .. دعنى أدير العملية بأسلوبى أنا هذه المرة ، ولن نسعى إليه ، بل سنجعله هو يسعى إلينا .

سأله (سعدان) فى فضول :

ـ كيف ؟

أجابه (هيرام) بنفس هدوئه التقليدى :

ـ ستعرف كل شىء قريبًا .. قريبًا جدًا ..

* * *

بدا الجنرال (قويم) متجهمًا للغاية ، وهو يستقبل (ممدوح) فى حجرته هذه المرة ، قائلا :

ـ إننى أحمل لك خبرًا سيئًا .

سأله (ممدوح) فى انزعاج :

ـ ما هو ؟.. ماذا حدث ؟..

الجنرال (قويم) :

ـ لقد اختطفت عصابات (سعدان) و (هيرام) العميد (صلاح) الليلة الماضية ، من أمام منزله ، بعد معركة عنيفة ، كان حراسه ضحيتها .

هتف (ممدوح) :

ـ المهم ألا يكونوا قد أصابوه بأذى .. لابدَّ أن نتحرَّك فى سرعة ، قبل أن يقتلوه .

ناوله الجنرال (قويم) مظروفًا مغلقًا ، وهو يقول :

ـ لقد تركوا لك هذه الرسالة بعد اختطافه ، ومن الواضح أنك أنت المستهدف .

قرأ (ممدوح) الرسالة ، التى تقول :

ـ « لو أنك تحرص على حياة زميلك ، احضر بمفردك ، فى العاشرة مساءً ، عند معمل تكرير البترول القديم ، فى (الكورتال) ، ولو اشتمَّ رجالنا شبهة وجود أى مخلوق معك ، فسيعدمون زميلك على الفور » ..

طَوَى (ممدوح) الرسالة ، وهو يقول فى حزم :

ـ أين معمل البترول القديم هذا ؟

الجنرال (قويم) :

ـ إنه معمل مهجور ، فى منطقة تعرف باسم (الكورتال) .

ممدوح :

ـ سأحتاج لسيارة ، وخريطة ترشدنى إلى المكان .

الجنرال (قويم) :

ـ هل قرَّرت الذهاب ؟

ممدوح :

ـ بالطبع .. لن أسمح بأن يصاب العميد (صلاح) بأى ضرر .

الجنرال (قويم) :

ـ حسنًا .. سأرسل معك مجموعة مدرَّبة من رجالنا ، و .....

ممدوح :

ـ لا .. سأذهب وحدى .

الجنرال (قويم) :

ـ ولكن هذا هو الجنون بعينه ، فهم سيقتنصونك هناك .

ممدوح :

— أعلم هذا ، وأقبل المخاطرة .

الجنرال (قويم) :

— ليذهب معك الجاويش (حيدر) إذن ، وليكمن فى مكان ما .

ممدوح :

— إنهم محترفون ، وسيدركون وجوده ، ولا ريب أنهم سيمشطون المنطقة جيدًا .

الجنرال (قويم) :

— ولكننى واثق من أنهم لن يتفاوضوا معك ، حتى لاستعادة (صلاح) .. لقد سبّب لهم الكثير من المتاعب ، وهم يسعون لقتلك بأى ثمن ، وذهابك لن ينقذ العميد (صلاح) ، بل سيتسبب فى مصرع كليكما .

ممدوح :

— من المحتم أن أقبل المخاطرة ، فهى جزء من صميم عملى .

الجنرال (قويم) :

— حسنًا .. ما دام هذا هو قرارك النهائى ، فسنرسل خلفك سيارة مجهّزة ، ستقف بعيدًا بما يكفى ، وتنتظر أوامرك لاسلكيًا ، ولن تتدخل إلا بناء على أوامرك .. هذا هو كل ما يمكننا فعله ..

* * *

وصل (ممدوح) إلى المعمل المهجور قبل الموعد بأربع ساعات كاملة ، لدراسة ساحة المعركة ، قبل أن يلتقى بأعدائه ، وكان يرتدى ثيابًا سوداء قاتمة ، ويطلى وجهه بشحم أسود ، حتى يختفى تمامًا داخل المعمل المظلم ، وقام بتثبيت صندوق معدنى خلف صهريج صدئ ، وقد برزت من الصندوق رءوس سهام فسفورية ، وتسلّق ماسورة عالية ، وهو يحمل لفافة من البلاستيك ، لم يكد يبلغ أعلى الماسورة ، حتى راح ينفخها كالبالون ، حتى صارت على هيئة رجل يشبهه طبق الأصل ، فاحتضن تمثاله ، وراح ينتظر خصومه فى صبر ، حتى التقطت أذناه بعد ساعتين وقع أقدام ، ورأى ثلاثة رجال داخل المعمل ، أسرع أحدهم يتسلّق ماسورة معدنية مواجهة له ، وكمن الآخر بين صهريج بعيد ، وارتكن الثالث إلى الجدار ، وهو يشعل سيجارته ، ويلقى نظرة سريعة على ساعته ..

كان من الواضح أنها لجنة الاستقبال التى تنتظره .. ولجنة إرساله إلى عالم الموتى ..

* * *

١١ — المبادلة ..

بكل هدوء ، أدلى (ممدوح) التمثال البلاستيكى بخيوط من النايلون الأسود ، وراح يحرّك أطرافه بواسطة الخيوط ، كما يفعلون فى مسرح العرائس ، حتى اطمأنّ على صلاحيته ، ثم قال فجأة :

— أنا فى انتظارك يا رجل .

انتفض الرجل الذى يرتكن إلى الجدار ، وألقى سيجارته أرضًا فى عصبيّة ، وحدّق فى التمثال الذى وضعه (ممدوح) عند نقطة واضحة ، وهتف منفعلا ، وقد ظنّ أن التمثال هو (ممدوح) :

— كيف أتيت ؟

أجابه (ممدوح) فى خفوت ، حتى لا يحدّد الرجل موقعه فى دقّة :

— سيرًا على الأقدام .

انفعل الرجل صائحًا :

— ولكننا فحصنا المكان جيّدًا .

ممدوح :

— دعْكَ من الوسيلة .. المهم أننى أريد معرفة مكان العميد (صلاح) ، قبل التفاوض فى أى أمر .

أطلق الرجل ضحكة عالية ، جمعت بين عصبيّته وسُخريته ، قبل أن يقول :

— العميد (صلاح) ؟!.. يا لك من أحمق !! ألم تتبيّن بعد أنه كمين ؟

لم يكد ينطق هذا ، حتى انهالت الرصاصات على التمثال البلاستيكى ، ومزّقته شرّ ممزّق ، فى حين أخرج (ممدوح) مسدّسًا خاصًا ، له ماسورتان ، تطلق إحداهما الرصاص ، والأخرى اللهب ، وأطلق خيطًا من اللهب نحو الصندوق المعدنىّ ، الذى يحوى السهام ، ذات الرؤوس الفسفورية ، فاشتعلت ، وانطلقت فى كل الاتجاهات ، كألعاب المهرجانات النارية ، وأصيب الرجال الثلاثة بالاضطراب والهلع ، واستغلّ (ممدوح) هذا ، فأصاب الرجل الكامن فوق الماسورة المواجهة له برصاصة ، سقط الرجل على أثرها صريعًا ، فى حين حاول الآخر الالتفاف حول صهريج (ممدوح) ، إلّا أن سهمًا فسفوريًا أصاب وجهه ، ودفعه إلى إطلاق صرخة ألم عالية ، كشفت موضعه لـ (ممدوح) ، الذى أرداه قتيلا برصاصة

أخرى ، وبقى الثالث وحده ، يصرخ فى هستيريا ، وهو يطلق النيران فى كل الاتجاهات :

ــ لا تظن أنك ستنجو .. هناك آخرون فى الخارج ، ولن يسمح لك أحدهم بالبقاء على قيد الحياة .. إنك ميت .. هل تسمعنى ؟.. استسلم أو مُت .

تجاهله (ممدوح) تمامًا ، وهو يضغط جهازًا صغيرًا فى جيبه ، عدة ضغطات متتالية ، كانت هى الإشارة ، التى تلقتها قوّة أمن من أربعة أفراد ، منهم الجاويش (حيدر) ، يجلسون فى سيارة (إدارة الأمن الوطنى) ، على مقربة من المكان ، ولم يكد الجاويش (حيدر) يلمح الإشارة ، حتى قال :

ــ إنها إشارة الهجوم .. هذا يعنى أن سيادة المقدّم فى حاجة إلى تدخُلنا .

وفى نفس اللحظة كان (ممدوح) قد تسلّل من مكمنه ، وفاجأ خصمه من الخلف ، قائلًا فى ثباتٍ وهدوءٍ :

ــ ألقِ مسدّسك ، وارفع يديك يا رجل ، وإلّا أرسلتك خلف زميليك .

ألقى الرجل مسدّسه ، ورفع ذراعيه عاليًا ، وهو يهتف :

ــ ولكنك لن تنجو ..

ممدوح :

ــ هل تراهن ؟

قال الرجل ، محاولًا التأثير عليه :

ــ هناك عشرات يحيطون بالمعمل ، وسيكون استسلامك فى صالحك .

لكَزَهُ (ممدوح) بمسدّسه ، قائلًا فى صرامة :

ــ دعْك من هذا ، فسيتولّى أصدقائى فى الخارج مهمّة تنظيف المنطقة من الفئران ، أما لو أردت أنت أن تُبقِىَ على حياتك ، فلن تجد أمامك سوى وسيلة واحدة .. أن تخبرنى بمكان العميد (صلاح) .. هيّا .. كلّى آذان صاغية .

* * *

استطاعت عين (ممدوح) الفاحصة أن تتبيّن الدُرُوب الجبلية المعقّدة ، والطرق الوعرة ، والصخور الحادّة ، التى تشكّل مجموعة من العوائق ، تحُول دون صعود ذلك المنحدر الجبلىّ ، الذى أقام (سعدان) و (هيرام) وكرهما فوقه ، بالإضافة إلى ذلك الحشد من الرجال المسلّحين ، الذين يحيطون بالوكر ، إحاطة السوار بالمعصم ، بحيث يمكنهم تمييز أيّة سحلية تحاول الاقتراب من المكان ، وأدرك (ممدوح) أن بلوغ الوكر



وحاول أسيره أن يرفع رأسه من وسط الأعشاب ، إلا أن (ممدوح) دفع الرأس إلى أسفل

يعدُّ مستحيلا ، فى ظل هذه الظروف . وحاول أسيره أن يرفع رأسه من وسط الأعشاب ، إلا أن (ممدوح) دفع الرأس إلى أسفل ، وألصق فوهة مسدسه بها ، وهو يقول :

ــ لن يمكنهم تمييز ملامحك ، من تلك المسافة ، والأفضل أن تحتفظ برأسك وسط الأعشاب ، لو أردت أن تحتفظ بها فوق كتفيك .

قال الرجل فى عصبيّة :

ــ لقد أطعتك فيما طلبت .. لِمَ لا تطلق سراحى إذن ؟

ممدوح :

ــ سأفعل ، ولكن عليك أن تبلغ رؤساءك أننى أجد محاولتهم لقتلى ، على هذا النحو ، سخيفة ساذجة ، أشبه بلهو الأطفال ، وما داموا يريدوننى ، فسأقدّم لهم عرضًا أفضل .. قُل لهم إننا سنجرى مبادلة .. هم يسلمون العميد (صلاح) إلى السفارة المصرية ، وأنا أسلّمهم نفسى .. ولتتم المبادلة هنا ، وإلا فلن تفلح محاولاتهم للتخلّص منّى أبدا ، وسأعلنها حربًا شعواء عليهم .

بدا الاستخفاف فى ملامح الرجل ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. سأخبرهم باقتراحك :

ممدوح :

ــ بلا شك ، وفى طريقك إلى هذا ، سأعاونك على النوم قليلا ، لتسترد عافيتك .

وهوى على رأس الرجل بمسدسه ، فأفقده الوعى ، وراح يزحف بين الأغصان مبتعدا ، وهو يعلم أن رسالته ستصل إلى حيث أراد ..

ستصل كاملة ..

* * *

كان أول ما فعله (ممدوح) ، عندما غادر تلك المنطقة الجبلية ، هو أن أسرع إلى أول كابينة هاتف ، واتصل بالجنرال (قويم) ، الذى لم يكد يسمع صوته حتى هتف :

ــ (ممدوح) ؟!.. أين أنت يا رجل ؟.. لقد خشينا أن تكون قد قتلت ، ونحن هنا نبذل أقصى جهدنا ، لاستجواب الرجال الذين ألقينا القبض عليهم فى المعمل ، فى محاولة لاقتفاء أثرك .

ممدوح :

ــ لاداعى لذلك ، سأصل إليكم فى غضون ساعتين أو ثلاث ، فلقد أعيتنى الحيلة لاستعادة العميد (صلاح) من مختطفيه ، فرأيت أن أبادل نفسى به .

هتف الجنرال (قويم) :

ــ هل جننت ؟.. أنت تعلم أنهم لا يبتغون سوى قتلك .

ممدوح :

ــ أعلم ذلك ، ومازلت أصرُّ على عدم السماح لهم به ، ولكنها فكرة مزدوجة جالت بخاطرى ، لتحرر العميد (صلاح) ، وتوقع بالرءوس الكبيرة فى آن واحد .

الجنرال (قويم) :

ــ وما هذه الفكرة ؟

ممدوح :

ــ سأشرحها لك عندما نلتقى يا سيدى ، ولكن أخبرنى أولا : ألديك رجال مدربون على اجتياز الطرق الوعرة ، إلى جوار كفاءتهم القتالية ؟

الجنرال (قويم) :

ــ لدىّ خمسة من هذا الطراز .

ممدوح :

ــ لن يكفوا ، ولكن لديكم رجال مقاومة الاستعمار السابقون .. أليس كذلك ؟

الجنرال (قويم) :

— بلى ، وهناك ما يقرب من ثمانين رجلًا منهم ، بعد حذف المعوَّقين ، وسأعمل على تجميعهم بأقصى سرعة ، وستجدهم هنا عندما تعود .. إنهم لن يترددوا فى مشاركتك هذه العملية ، فمن ناضل فى سبيل استقلال وطنه من عدوٍّ خارجىٍّ ، لا يتردَّد لحظة فى قتال أعداء الوطن الداخليين .. اطمئن ..

وكان هذا يعنى أن المعركة الكبرى على وشك البدء .. معركة تحطيم آخر معاقل الشرّ ..

* * *



١٢ ــ مَعَاقِل الشَّرّ ..

اصطفَّ ما يقرب من مائة شاب ورجل ، فى قاعة التدريب الكبرى بإدارة الأمن الوطنى ، وعلى المنصَّة المواجهة لهم جلس الجنرال (قويم) ، وإلى جواره (ممدوح) ، وإلى يسارهما الجاويش (حيدر) ، وثلاثة من مجموعات الأمن ، التى أسهمت فى مهاجمة المنطقة المحيطة بمعمل البترول القديم ، ونهض الجنرال (قويم) ليلقى خُطبته ، قائلًا :

— يسعدنى فى هذا اليوم أن أعلن تخرج أول دفعة من ضباط وجنود جهاز الأمن الوطنى بـ (دوناى) ، بعد أن مررتم بتدريبات شاقَّة وعنيفة ، ستفيدون منها أيَّما إفادة فى المستقبل .. وإننى لأشعر بالفخر ؛ لأن مسئولية أمن الوطن ستئول منذ هذه اللحظة لأبناء الوطن ، ليكونوا نواة لجهاز أمنىٍّ قوىٍّ ، يعمل لخدمة الشعب ، ويحافظ على حريته وأرواحه وممتلكاته ، بعيدًا عن سيطرة الاستعمار ، الذى ترك خلفه جرائم لا حصر لها ، وأشرارًا يملئون وطننا .. ولا يفوتنى هنا أن

أنوّه بالدور العظيم ، الذى قام به أصدقاؤنا المصريون ، حكومة وشعبًا . فلقد كان لخبرائهم فضل تخرُّجكم اليوم ، ولقد بذل بعضهم حياته ودمه ، ثمنًا لهذه اللحظة ، وما زالوا يخاطرون بأرواحهم من أجلنا .. وباسمكم جميعًا ، اسمحوا لى أن أقدّم هدية رمزية ، لواحد من أكثر رجال الأمن فى (مصر) كفاءة .. إلى المقدّم (ممدوح عبد الوهاب) ، نقدّم له هديتنا باسم حكومة وشعب (دوناى) ، ويتسلّمها نيابة عن حكومة وشعب (مصر) .

تقدّم أوّل الخريجين نحو (ممدوح) ، وصافحه ، وسلّمه درعًا يحمل رمز شرطة (دوناى) ، وتبادل الاثنان التحية العسكرية ، ثم أكمل الجنرال (قويم) خطبته :

ـ يسعدنى أيضًا أن أعلن لكم عن بدء عملكم بمهمّة كبيرة ، هى مواجهة حاسمة وفاصلة ، بيننا وبين عصابات (غيدان) .. وهذه هى مهمّتكم الأولى ، والكبرى .. وفقكم الله ، وجعلكم فخرًا للوطن .

أدّى الخريجون التحية العسكرية للجنرال (قويم) ، وارتسمت السعادة على وجوههم للخبر الأخير ، وتجلّت فى خطواتهم الحماسية القويّة ، وهم يغادرون القاعة فى صفوف منتظمة ..

ولم تكد القاعة تخلو منهم ، حتى دخلتها مجموعة أخرى من الرجال فى ثياب مدنية ، وإن لم تقل خطواتهم حماسًا وقوّة وانتظامًا ، حتى اصطفّوا بدورهم أمام المنصّة . فوقف الجنرال (قويم) يحييهم ، قائلًا :

ـ يُسعدنى أن ألتقى اليوم بفخر الوطن .. بالرجال الذين ناضلوا وكافحوا ، وخاطروا بأرواحهم فى سبيل الوطن واستقلاله ، وهم يؤدّون أروع المهام البطولية ضد المستعمر ، وإننى لأشعر بالفخر ، وأنا ألتقى بكم الآن ، ومعى صديق من (مصر) .. ولقد تحدّثت منذ قليل مع خريجى (إدارة الأمن الوطنى) الجدد ، الذين سيشاركونكم هذه المهمّة الباسلة ، التى سيحدّثكم عنها المقدّم المصرى (ممدوح عبد الوهاب) .

نهض (ممدوح) ، يقول :

ـ يشرّفنى كثيرًا أن ألتقى اليوم بأبطال المقاومة فى (دوناى) ، وأنا الذى أردّد دومًا أنه فى كل مكان وكل زمان ، هناك حتمًا رجال من معدن نادر ، يقدّسون الشرف والواجب ، ويبذلون الروح والدم فى سبيل أوطانهم ، بلا تردّد أو خوف .. ولقد كافحتم فى سبيل أوطانكم فى الماضى ، ضد مستعمر أجنبى ، واليوم حانت لحظة الدفاع عن الوطن ، ضد

خطر داخلىّ .. ضد أعداء لايقلُّون عن المستعمر ضررًا .. ضد عصابات (غيدان) الإجرامية ، التى يتزعمها (سعدان) و (هيرام) ، ولقد قرَّرت أن أشارك (إدارة الأمن الوطنى) فى هذه المهمَّة ، وفى مواجهتها الحاسمة مع رأسى الفساد فى البلاد .. وهذه المهمَّة تحتاج إلى رجال مثلكم ، فهل توافقون على القتال معنا ؟

انطلقت موافقتهم على هيئة هتاف حماسى قوىّ ، ارتجَّت له جدران القاعة ، وهنا انتقل (ممدوح) على الفور إلى شرح العملية ، قائلًا :

ـــ نحن نحتاج إلى رجال مدرَّبين على تسلُّق المنحدرات الجبلية ، واجتياز الدُّروب الصخرية الوَعِرة ، وسنقوم ، مع رجال الأمن ، باقتحام وكر (سعدان) و (هيرام) ، وهى مهمَّة ليست باليسيرة ، خاصَّة وأن زعيمى الإجرام يملكان عددًا من الرجال الأشدَّاء ، وترسانة كاملة من الأسلحة ، بالإضافة إلى طائرتى هليوكوبتر ، وموقع استراتيجى متميِّز .

قال أحد رجال المقاومة فى حماس :

ـــ اطمئن .. لقد قمنا فى الماضى بأعمال لاتقلُّ خطورة .

قال (ممدوح) ، وقد شمله الحماس تمامًا :

ـــ إنها عملية قانونيَّة تمامًا ، فلدينا اعترافات وأدلَّة ، وكل مايلزم ، وسنهاجم وكر الزعيمين ، وكل الأوكار الصغيرة فى آن واحد .. صدِّقونى يا رجال .. هذه هى المعركة الحاسمة .. المعركة الأخيرة ..

* * *



١٣ ــ عملية حاسمة ..

تمامًا كما اقترح (ممدوح) ، بدأت العملية بقطع كل خطوط الهاتف ، المتصلة بالوكر ، حتى لا يبلغ أى مخلوق عن رتل السيارات ، الذى يتجه إليه ، وعندما وصلت السيارات إلى مواضعها المحدودة ، حول الوكر ، بدأ تنفيذ الخطة ..

كان (ممدوح) قد تلقى من العصابات رسالة تقول : إنهم يقبلون اقتراحه ، ويوافقون على إجراء المبادلة المطلوبة ، فى السهل الواقع أسفل المنحدر الجبلى ، مع الخيوط الأولى للفجر ، وأنهم لا يسمحون لأحد بالحضور ، بخلاف (ممدوح) ، ومندوب واحد من السفارة المصرية ؛ لتسلُّم العميد (صلاح) ، قبل أن يصطحب أحد أفراد العصابة (ممدوح) إلى وكرهم ..

ولم يخف على (ممدوح) أن اختيار ذلك السهل المنبسط يعود إلى سهولة اقتناصه مع العميد (صلاح) ومندوب السفارة المصرية ، بواسطة قناص محترف ، من مكان ما فى الوكر ؛ لذا فقد حضر مع المجموعة المكلَّفة للعمل ، إلى المكان

قبل ساعتين من الموعد المحدود ، وراح يوزع أفراد المجموعة حول المكان بشكل دائرى ، مستغلًا ظلام الليل ، حتى اتخذ كل من الرجال موقعه ، لسدّ منافذ الهروب أمام أفراد العصابة تمامًا ..

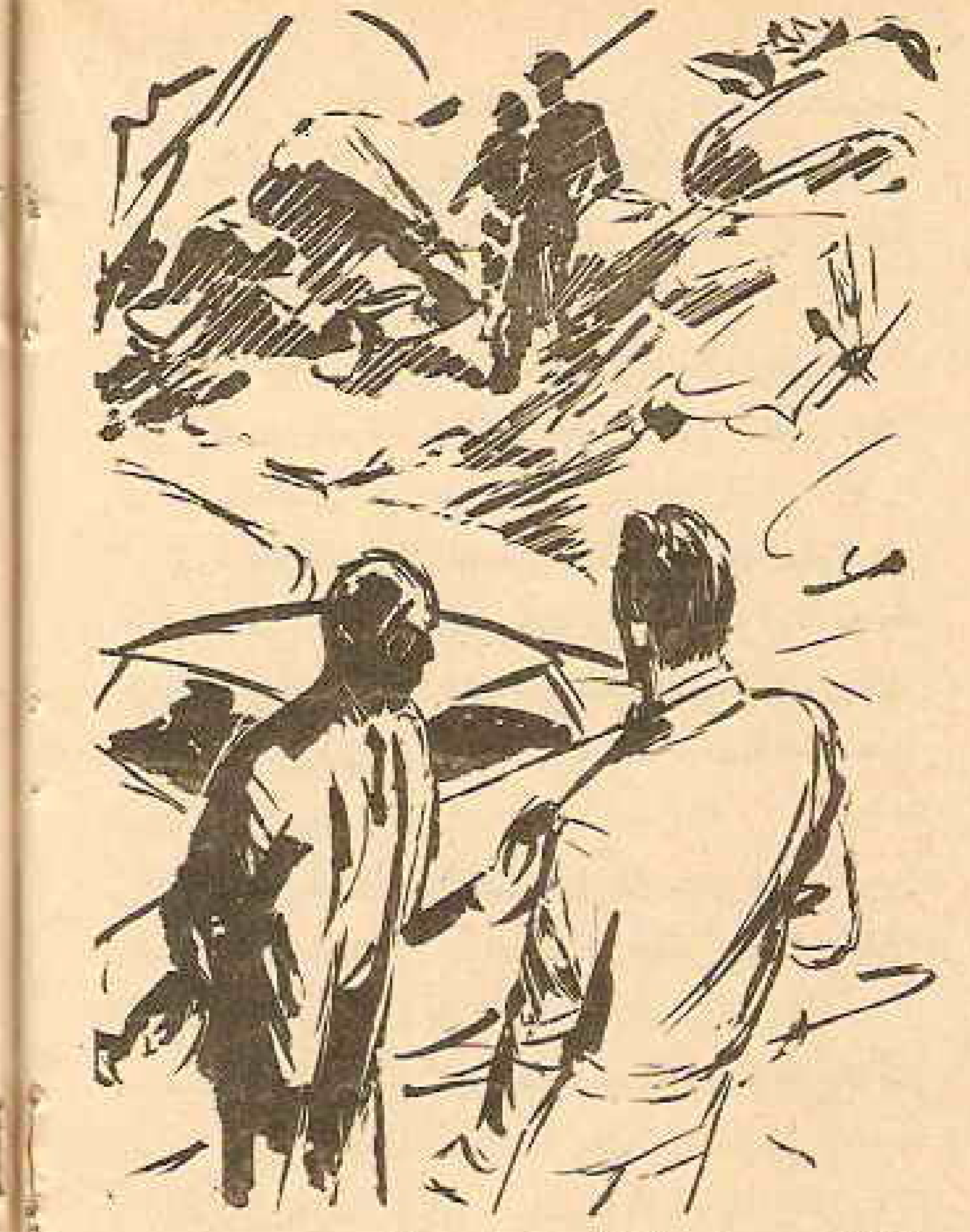
وقبل الفجر بعشر دقائق ، كان المكان كله يبدو خاليًا ، على الرغم من وجود ما يقرب من ثمانين رجلًا فى مخابئهم ، وقد تشبثوا بأسلحتهم ..

ومع الخيوط الأولى للفجر ، تقدَّمت سيارة صغيرة إلى السهل الجبلىّ ، وهبط منها (ممدوح) ، ومندوب السفارة المصرية ، ووقفا إلى جوارها ، حتى بدا لهما شبح رجلين يهبطان إليهما فى بطء ، فتطلَّع (ممدوح) إلى ساعته ، وتقدَّم وحده عدة أمتار إلى الأمام ..

وفى نفس اللحظة ، التقطت عين الجاويش (حيدر) ، من مخبئه ، ثلاثة قناصين ، يتربَّصون فى أماكن مختلفة ، فقال لشخص يجاوره :

ــ كما توقَّع المقدم .. إنهم يخطِّطون لاقتناص الجميع فى آن واحد .. كُنْ مستعدًا .

قال الرجل :



بدا لهما شبح رجلين يهبطان إليهما فى بطء ، فتطلَّع (ممدوح) إلى ساعته ، وتقدَّم وحده عدة أمتار إلى الأمام ..

ــ أنا على تمام الاستعداد .

بدا الشبحان أكثر وضوحًا مع تقدُّمهما من موضع (ممدوح) ، الذى تبيَّن فى أحدهما وجه العميد (صلاح) ، حتى أصبح الرجلان على مسافة مترين من بعضهما البعض ، فى نفس اللحظة التى رأى فيها الجاويش (حيدر) القنَّاصة يستعدُّون لإطلاق النار ، فأطلق من سلاح خاص يحمله قنبلة دُخان خاصة ، انفجرت على ارتفاع متر واحد ، فى منتصف المسافة بين (ممدوح) و (صلاح) ، فاختفيا وسط سحابة من الدُّخان ، قبل أن يُطلق أحد القنَّاصة رصاصة واحدة ، وهنا اندفع (ممدوح) نحو العميد (صلاح) ، وجذبه من يده جانبًا ، وهو يهتف :

ــ اطمئن يا سيِّدى .. الدُّخان لتغطيتنا وحمايتنا فحسب .

ثم أخرج مسدَّسه ، وأطلق منه رصاصة على الرجل المصاحب للعميد (صلاح) ، فأرداه قتيلًا ، فى نفس اللحظة التى انهالت فيها عشرات من قنابل الدُّخان على المنحدر ، وأحالته إلى منطقة انعدام رؤية تامة ..

وتسلَّم مندوب السفارة ــ الذى لم يكن سوى أحد رجال المقاومة متنكِّرًا ــ العميد (صلاح) ، وانطلق معه بالسيارة ،

مبتعدين عن ساحة المعركة تمامًا ، فى حين أسرع (ممدوح) وزملاؤه يرتدون مناظير خاصّة ، تتيح لهم الرؤية داخل الغيوم ، واندفعوا نحو المنحدر الجبلىّ ، وألقوا نحوه عشرات من الحبال القوية ذات الخطاطيف ، التى تعلّقت بالصخور ، فراحوا يتسلّقونها فى خِفّة وسرعة ومهارة ، وعلى رأسهم (ممدوح) ..

وكشف أحد رجال العصابة وجود الحبل ، الذى يصعد عليه (ممدوح) ، عندما كان يتحسّس طريقه وسط الضباب ، فاستلّ خنجره ليقطعه ، ولم يكد يفعل حتى انقضّ عليه (ممدوح) ، وتشبّث بالصخور البارزة ، وهو ينتزع مسدّسه باليد الأخرى ، وأطلق على الرجل رصاصة قاتلة ، قبل أن يصعد معتمدًا على ذراعيه ، ويكون أوّل من استقرّت قدماه فوق التلّ ..

أمّا أوّل من وضع أقدامه على نقطة قريبة من الوكر ، فهو الجاويش (حيدر) ، الذى لم يكد يستقر واقفًا ، حتى واجهه اثنان من رجال العصابة ، فأمسك رأسيهما ، وضربهما ببعضهما البعض ، حتى أفقد الرجلين وعيهما ، ثم أسرع يصوّب مدفعه إلى عدد آخر من رجال العصابة ، برزوا من خلف الصخور ، فى محاولة لاعتراضه ، وأرداهم قتلى على الفور ..

وفجأة ، اخترقت رأسه رصاصة ، جعلته يترنّح ، ثم يهوى بجسده الضخم من حالق ..

ولكن المعركة لم تتوقّف ..

لقد انقشعت سُحُب الدُّخان ، وأدرك (ممدوح) والرجال أنهم يواجهون قلْعة مسلّحة بالفعل ، فلد أُغلقت كل نوافذ الوكر ، فيما عدا فتحات صغيرة ، برزت منها فُوّهات البنادق ، والمدافع الآلية ..

وانهالت القنابل والرصاصات على رجال المقاومة ..

ولقىَ العشرات مصرعهم ..

ولكن هذا لم يُوهن عزْم الجميع ..

لقد واصل رجال المقاومة تقدُّمهم ، وعلى رأسهم (ممدوح) ، وهم يجيبون القنابل بالقنابل ، والرصاصات بالرصاصات ..

ومع الهجوم المكثف ، الذى بات أشبه بحرب شعواء ، منه بمواجهة مع عصابات إجرامية ، صنعت قنابل رجال المقاومة ثغرة فى جدار الوكر ..

وكان (ممدوح) أوّل من قفز داخل الوكر ..

ولم يكد يفعل ، حتى اعترض طريقه رجلان مسلّحان ،

قتلهما برصاصتين سريعتين ، ثم انطلق وسط جثث العشرات من رجال العصابة ، الذين أطاحت بهم القنابل والرصاصات ، والقذائف الصاروخية ، وسمع صوتًا من الداخل يطالب من تبقّى من رجال العصابة بالتوجُّه إلى الساحة الداخلية ، فراح يتساءل عمّا يعنيه هذا ، ورجال المقاومة يتدفّقون داخل الوكر ، من ثغرات صنعتها قذائفهم ..

ورأى (ممدوح) فى نهاية ممر طويل يواجهه ، بوّابة معدنية يغلقها رجال العصابة فى إحكام .

ومن فرجة البوّابة رأى الساحة الداخلية ، ورأى ما هو أخطر ..

لقد كان (سعدان) و (هيرام) يستعدان للفرار مع من تبقّى من رجالهما .

وكانت وسيلة فرارهما هى السلاح الوحيد الذى تبقّى لهما ، فى الساحة الخلفية ...

طائرتا الهليوكوبتر ..

* * *

١٤ — تحيّة الوَداع ..

اختطف (ممدوح) من أحد رجال المقاومة مدفعًا صاروخيًا ، ثبته على كتفه فى إحكام ، وأطلق منه قذيفة ، حطّمت البوّابة المعدنية ، ثم انطلق مع رجال المقاومة نحو الساحة الداخلية ، حيث دارت بينهم وبين رجال العصابة معركة حامية الوطيس ، و (ممدوح) يشقّ طريقه إلى الهليوكوبتر التى استقلّها (هيرام) ، مع بعض أعوانه ، والتى راحت مروحتها تدور تمهيدًا للتحليق ، فى حين تزاحم باقى أفراد العصابة حول الهليوكوبتر الثانية ..

وجلس (ممدوح) مرتكزًا على إحدى ركبتيه ، مثبتًا المدفع الصاروخىّ فوق كتفه ، وأطلق صاروخًا حطّم مروحة الهليوكوبتر الأولى ، وآخر نسف الهليوكوبتر الثانية ، وأحالها بمن حولها إلى شظايا وأشلاء ..

وبات من الواضح أن (هيرام) وأعوانه قد خسروا المعركة ، فرفعوا أيديهم فوق رءوسهم فى استسلام ، والغضب والمرارة يملآن وجوههم ..

وراح رجال المقاومة ، الذين سيطروا على الموقف داخل القلعة الحصينة ، يفتشون مختلف منافذها ، ويدفعون أسراهم إلى حيث انتظرت السيارات ، فى سفح الجبل ..

وبينما انهمك (ممدوح) فى تفتيش المكان ، تحرَّك جدار أمامه بغتة ، وكشف عن تجويف سرِّى ، وقف داخله (سعدان) ، مصوِّبًا مسدسه إليه ، قائلًا فى حِدَّة :

ــ الآن ألقِ مسدسك ، ودعنى أرَ ذراعيك فوق رأسك أيها المصرىّ .

أطاعه (ممدوح) فى هدوء ، فاستطرد (سعدان) :

ــ كان يمكننى أن أهرب عبْر هذا المخرج السِّرِّىّ ، الذى لايعلمه سواى ، فقد أخفيت أمره عن الجميع .. حتى عن (هيرام) ، وكنت أخفى فيه ثروة تكفل لى حياة الملوك ، ما بقى من عمرى ، وخاصَّة بعد أن انتهى الجميع ، ولم يعُد يشاركنى فيها أحد ، ولكننى لم أشأ أن أرحل ، دون أن ألقى عليك تحية الوداع ، فلقد كنت لى مصدر إزعاج كبير ، وتسبَّبت فى تحطيم سطوتنا على هذه المدينة ، بعد أن كنا ملوكها ، ومن الضرورىّ أن تدفع ثمن هذا ، وإلا قضيت حياتى فى ندم ومرارة .

قال (سعدان) هذا ، وهو يجذب إبرة مسدسه ، استعدادًا

لنسف رأس (ممدوح) ولكن (ممدوح) التقط من شعره بغتة كبسولة صغيرة ، ضغط جانبيها ، ثم ألقاها فى حركة مفاجئة نحو (سعدان) ، وقفز جانبًا ..

وانفجرت الكبسولة عند قدمى (سعدان) ، واختلَّ توازنه ، عندما غاصت قدماه فى الأرض ، وتصاعدت الأتربة ترتطم بوجهه ، وسقط مسدسه من يده ، فقفز (ممدوح) يلتقطه ، ويصوِّبه إليه ، هاتفًا :

ــ كان من الخطإ أن تودِّعنى بكل هذا القدر من الخطابة أيها الوغد ، فأنا أكره لحظات الوداع .

غام الأمل فى عينى (سعدان) ، وبدا أقرب إلى الانهيار ، وهو يلقى نظرة أخيرة على الحقائب المكدَّسة بالأموال ، التى تحيط به من كل جانب ، قبل أن يقول فى يأس :

ــ لقد انتهى كل شىء ..

وكان على حق .

لقد انتهى كل شىء ..

* * *

ارتسمت ابتسامة ارتياح كبيرة على وجه الجنرال (قويم) ، وهو يهنِّئ (ممدوح) والرجال الذين شاركوه فى العملية الأخيرة ، قائلًا :

لم يدرك الجنرال (قويم) مغزى هذا المطلب بالضبط ، إلا أنه أجاب :

ـــ بلا شك .

وفجأة ، اندفع الجميع نحو (ممدوح) ، يصافحونه ويعانقونه ، ويبثونه مشاعرهم الجياشة الصادقة ، التى أثارت مشاعره بدوره ، وإحساسه بالارتياح والتقدير لهم ، حتى كاد يفقد سيطرته على عواطفه ، ويبكى بدموع دافئة ، لولا أن أصابته بغتة حالة من الدهشة ، عندما رفعه الرجال ، وألقوا به عاليًا ، ثم عادوا يتلقفونه بأيديهم ، ويلقونه عاليًا مرات ومرات ..

وتبددت دهشته ، وعادت عواطفه تتفجر فى قوة ..

لقد كانت هذه هى تحيتهم فى (دوناى) .

تحية الأبطال ..

* * *

[تمت بحمد الله]

مدينة الأشرار

وقفز (ممدوح) متفاديًا الضربة الثانية ، التى هوَت على جهاز التلفاز المجاور له ، فحطَّمت شاشته ، وعندما حمل هو ما تبقَّى فى الجهاز ، ليصدّ به الضربة الثالثة ، هوَت الضربة لتشطر الجهاز شطرين ..

المؤلف



أ . شريف شوقى

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمى

العدد القادم

العدوّ الغامض